دفاع عن الحديث النبوي

١٣

حديث بدء الوحي في الميزان

تأليف
الدكتور سعد المرصفي

مؤسسة الريان
بيروت . لبنان

مكتبة المنار الإسلامية
الكويت

حديث بدء الوحي

في الميزان



الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

مكتبة المنار الإسلامية

طباعة ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية

كويت - حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٦١٥٠٤٥ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي 32045

Kuwait - Hawalli Al-Mothana Street, Tel.: 2615045, Fax: 2636854, P.O.Box: 43099 Hawalli, Postal Code No. 32045

مؤسسة الريان

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥١٣٦ السجل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

دفاع عن الحديث النبوي
في ضوء أصول التحديث رواية ودراية
ورد الشبهات ودحض المفتريات
١٣

حديث بدء الوحي في الميزان

تأليف
الدكتور سعد المرصفي

مؤسسة الريان
بيروت - لبنان

مكتبة المنار الإسلامية
الكويت



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

مقدمة

تطالعنا خصائص حياة الرسول ﷺ بأنها أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل ، وتتميز بالوضوح في جميع مراحلها ، والمثالية في كل ما يتصل بها ، والشمول والتكامل في كل ما يحيط بها ، والدليل العملي على صدق الرسول ﷺ ! !

وتطالعنا قبل مبعث الرسول ﷺ حقائق كثيرة . . في النسب الشريف ، وفي مرحلة اليتم الذي لاحقه يتم ، قبل أن تشتد لصروف الحياة قناة اليد ! !

وفي مرحلة الشباب ، وطبيعة العمل التي تدعو إلى الاختلاط بصبيان من طبقات مختلفة ، أكثرهم من طبقات الفقراء والخدم والعبيد[1] ، أولئك الذين كانوا يؤجرون لهذا العمل الذي لا يعد من معالي الأعمال بل يعد من صغارها ، ومع أنه ﷺ كان مع هؤلاء لم تنزل نفسه عن عزتها من غير استعلاء ، فكان يجذبه إلى العلا شرف نسبه ، وطيب محتده ، وما يكمن في طبعه الكريم من حب لمكارم الأخلاق ، من غير غطرسة ، ولا كبرياء ، ولا استهانة أو استصغار للضعفاء ، كما كان يجذبه إلى التطامن والرضا بالقليل صغر العمل في ذاته ، من غير نظر إلى ثمراته وأثره في تربية النفس على حسن المعاملة والرفق بالناس ! !

وكان الأحداث منهم خصوصاً الذين انغمس ذووهم وأولياؤهم في الشهوات يستولي على قلوبهم حب اللهو البريء وغير البريء ، ومنهم من ينزع إلى الشر من بعد ، ويكون عنصر فساد في المجتمع إذا بلغ أشده ! !

وإذا كان الضعف يثير الرحمة ، ويدفع إلى الحب الخالص البريء ، فهؤلاء يدفعون إلى المجون ، والمجون يهدي إلى سيطرة الهوى ، وسيطرة الهوى تهدي إلى الفساد ، والصحبة تجعل السقيم يعدي البريء ! !

---

(١) خاتم النبيين ﷺ : ١ : ١٧٠ بتصرف .

ومع ذلك كانت حماية الله عز وجل لعبده ومصطفاه ، وكانت العصمة والتربية الإلهية ! !

يروي ابن إسحاق وغيره بسند حسن عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

[ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء ، إلا ليلتين ، كلتاهما عصمني الله منهما ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها ، كما يسمر الفتيان ، فقال : بلى ، فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة ، سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير ، قلت : ما هذا؟ ، فقيل : تزوج فلان وفلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فوالله ! ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت؟ قلت : ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي ، حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فو الله ! ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي ، فقال : ما فعلت؟ قلت : لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، فو الله ! ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك ، حتى أكرمني الله بنبوته] .

قال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات(١) .

---

(١) الخصائص الكبرى : السيوطي : ١ : ١٤٩ـ ١٥٠ ، والحاكم : ٤ : ٢٤٥ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي : الدلائل : ٢ : ٣٣ ، وأبو نعيم : الدلائل : ٢ : ٣٣ ، وابن حبان : الإحسان (٦٢٧٢)، والبخاري في التاريخ الكبير : ١ : ١٣٠ (٣٨٩) ، والبزار : البحر الزخار : ٢ : ٢٤٠ ـ ٢٤١ (٦٤٠) ، وأورده الهيثمي في كشف الأستار : ٣ : ١٢٩ (٢٤٠٣) ، والمجمع : ٨ : ٢٢٦ ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

وفي مرحلة الرجولة نبصر تكافؤ الخلق في وجوده الواقعي في شخصية الرسول ﷺ[1] ، وهو الذي يوشك أن يكون معجزة الحياة في سلوك الإنسان ! !

وهنا نبصر البُعد الأخلاقي في حياة الرسول ﷺ المديدة ، يتمثل واضحاً نقياً في انسلاخه الحاسم عن كل ممارسات الجاهليين الباطلة ، التي كانت تعج بها الحياة العربية . . ممارسات لا يحصيها العد ، كانت تجري على مسرح الجزيرة العربية ، ومثلتها ليل نهار ، حتى أصبحت إلفاً وعادة ، وتجاوزت ذلك إلى مفاخر ومكرمات ، تبارى العرب في الإتيان بالمزيد منها ، والرسول ﷺ بعيد عن هذا كله ، منسلخ عنه ، خارج عليه ! !

مع أن قافلة الحياة كانت جائرة السبيل ، حائرة الدليل ، خائرة العزيمة ، والدنيا تئن وتشكو ، وجراحها تشجب دماً ، والشيطان يعيث في الأرض فساداً ! !

ولم يبق ثمة إلا البعد الروحي الفكري ، وهو أشد الأبعاد ثقلاً وخطراً في الحياة ! !

وإذا ما كان الانسلاخ الحاسم عن كل ممارسات الجاهلية قد أعطى القدرة العملية على الرفض الحاسم لكل ممارسات الجاهليين الباطلة ، فإن البعد الروحي قد أعطى امتداداً نفسياً متمماً لا يمكن أن يؤدي دوره الحاسم الكبير بدونه ! !

إنه امتداد باتجاه الاندماج والاتصال ، بمواجهة رفض الجاهلية وقيادتها وأعرافها وسلطاتها ! !

اندماج بالكون على انفساحه بالعالم الجديد الذي بعث الله محمداً ﷺ لينقل البشرية إليه ، بالناموس الذي سيأتي عما قريب لجعل الإنسان في كل زمان ومكان وجيل وقبيل موقناً به ، مستمسكاً بمنهجه ، مغادراً مواضعه المنحرفة الخاطئة التي ساقته إليها زعامات جائرة ، وسلطات مستبدة ، وأعراف مليئة بالدنس والرجس ! !

---

(١) الجامع الصحيح للسيرة النبوية : ١ : ٣٩٠ وما بعدها بتصرف .

وفي غار حراء المهيب المحجب ، كانت نفس كبيرة تطل من عليائها على ما تموج به الدنيا من فتن ومغارم واعتداء وانكسار ، كانت عين نفاذة محصية تنظر في هذا الواقع ، وتحاول جاهدة أن تغادر مكة بين الحين والحين ، تجتاز أسوارها الجبلية ، تنقلها خطوات ثابتة عبر رمال الصحراء المترامية ، حتى تحجب حياة الجاهلية ، ثم ينتهي المطاف إلى غار حراء ! !

واستغرق الرسول ﷺ في تفكير عميق ، كان يشغله أمداً طويلاً . . تفكير عميق في أحوال قومه ، وفي أوضاعهم ، وفي الكون والحياة ، ومصير الإنسان ، يريد الوصول إلى الحقيقة ، وأخذت ملامح الطريق تزداد إيحاءً ووضوحاً ! !

هكذا كان الخلاء بغار حراء عكساً وطرداً . . عكساً إزاء طغيان الجاهلية، وطرداً تجاه بدء الوحي ، بمثابة الإرهاص الأكبر إلى أن محمداً ﷺ قد غدا على استعداد تام لنزول الوحي ! !

هذا ، والعقل في منطقه بمعزل عن إدراك شرعية التعبد في غار حراء ، بيد أن جوانب تتكشف من عظمة البعد الروحي حين نتصور جهد الطاقة حقيقة الاصطفاء ، ونتصور في ظلها حقيقة العبودية ، بما نعرف وبما لا سبيل إلى معرفته ، ثم نستشعر وقع هذا التكريم وتلك العناية ، ونتذوق حلاوة المعرفة والفهم ، وحقيقة التكريم والعناية ، ونتلقى هذا بالشكر والخشوع ، والابتهال والخضوع ، ثم لا نلبث أن نجد أنفسنا نحلق في سماء الحمد ، ونتصور جنبات الوجود ، وهي تتجاوب مع هذا التكريم وتلك العناية ! !

لقد بدأت آثار مطلع الوحي منذ اللحظة الأولى في تحويل خط التاريخ البشري كله ، منذ أن بدأت في تحويل خط الضمير الإنساني ، وتحددت الجهة التي يتطلع إليها الإنسان ، ويتلقى عنها تصوراته وموازينه ! !

وهنا نبصر الدنيا جاثية تستقبل الرسالة والرسول ، ونبصر الفضائل كلها مجتمعة تروح وتغدو لتعيش الحقيقة في رحاب النور ، ولا نكاد نرى من حولنا شيئاً

من معاني السمو والجلال ، والعظمة والجمال ، والرفعة والكمال ، يتحرك إلا بين يدي الرسالة والرسول ! !

هنالك بدت طوالع الوحدانية على الوثنية ، والإنسانية على العصبية ، وظهرت معالم ومعالم . . ووجدت قافلة الحياة طريقها القاصد ، وأبصرت الدنيا نوراً سرى في الكون ، وروحاً سرت في الهيكل المنحل ، والجسد المعتل ، فنفخت فيه سر الحياة ، حتى شعر أن له حياة مباركة طيبة خيراً من هذه الحياة ، فتشوف إلى الأفق البعيد ، واستنار بالضوء الجديد ، وأدرك بعث الحرية من قبرها ، وإطلاق العقول من أسارها ! !

وأحداث ميلاد الرسالة وبدء الوحي أساس النبوة ودعائم الرسالة ! !

وهنا نبصر الحقيقة الكبرى في ميلاد الرسالة التي اصطفى الله تبارك وتعالى رسولها بعلمه وحكمته ، فجعله خير رسول لخير أمة أخرجت للناس ، وختم به نبوته ، وعمم برسالته شرائع وحيه ، وخلد برسالته الدعوة إلى وحدانيته ، وشرف به ملكه وملكوته ، وأفاض عليه من خواص غيبه في أخلاقه وخلائقه ما تعجز الأقلام والألسن عن الإحاطة بشيء من فضله ! !

وتطالعنا روايات حديث بدء الوحي ، كما تطالعنا ـ أيضاً ـ أقوال كثيرة في بيان تلك الروايات وما يتصل بها ! !

ومع أنه قد تحسن المقاصد والنيات ، ففي الوقت ذاته قد تخطىء الأفكار والتصورات ! !

ومن ثم كان من الضروري إلقاء الضوء على تلك الروايات والأقوال ، وإن كان يعتري ذلك الكثير من الصعاب التي يشفق منها بعض الباحثين ، ويتراجع أمامها كثير من الدارسين ، لمكانة هؤلاء وأولئك ، لأنه لا يجوز بحال أن نسكت على ما ورد من روايات مردودة ، وما قيل تفسيراً لأحداث بدء الوحي ، وميلاد الرسالة الخاتمة ، تزيداً بشيء لا يتفق وقواعد التحديث رواية ودراية ! !

وقد اقتضت منهجية البحث أن يشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الحديث وغريب الألفاظ .

الفصل الثاني : أضواء على الأقوال في المراد بالخشية .

الفصل الثالث : رد بلاغ التردي من رؤوس شواهق الجبال .

والله أسأل : التوفيق والسداد ، والعون والرشاد .

إنه سميع مجيب .

الكويت في ١٥ جمادى الآخرة ١٤١٧هـ

٢٨ سبتمبر ١٩٩٦م

سعد محمد محمد الشيخ (المرصفي)

الفصل الأول

الحديث وغريب الألفاظ

الحديث :

يروي الشيخان وغيرهما عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت[1] : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فى النَّوْمِ ، فكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ . ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، وكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلىٰ أَهْلِهِ وِيَتَزَوَّدُ لِذٰلِك ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لمثلِهَا ، حتَّى جاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِى غارِ حِراءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : مَا أَنَا بِقارِئٍ . قال : فَأَخَذَنى فغطَّنى حتَّى بَلَغَ مِنِّى الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فقَال : اقْرَأْ . قُلْتُ : مَا أَنَا بِقارِئٍ . فَأَخَذَنى فَغطَّنى الثانيَةَ حتى بَلَغَ مِنِّى الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ . فقُلت : مَا أَنَا بِقارِئٍ . فَأَخَذَنى فَغَطَّنِى الثَّالثَةَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِى فَقَالَ : ﴿ اقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَق . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ فرجَعَ بِها رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤادُهُ ، فَدَخَلَ عَلىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ : زَمِّلُونى زَمِّلُونى . فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، فقَالَ لِخَدِيجةَ وَأَخْبَرَها الْخَبَرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلىٰ نَفْسِى . فَقَالَتْ خَدِيجَةُ : كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بنَ نَوْفَلِ ابنِ أَسَدِ بنِ عبدِ الْعُزَّى ـ ابنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ـ وَكَانَ امْرَءًا تَنَصَّرَ فى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ

(١) البخاري : ١ ـ بدء الوحي (٣) ، واللفظ له ، وأيضاً : ٦٠ ـ الأنبياء (٣٣٩٢) ، ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣ ، ٤٩٥٥ ، ٤٩٥٦ ، ٤٩٥٧) ، ٩١ ـ التعبير (٦٩٨٢) ، ومسلم (١٦٠) ، وعبدالرزاق (٩٧١٩) ، وأحمد : ٦ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ، والفتح الرباني : ٢٠ : ٢٠٧ ، وابن حبان : الإحسان (٣٣) ، وأبو عوانة : ١ : ١١٠ ، ١١٣ ، والبيهقي : دلائل النبوة : ٢ : ١٣٥ ـ ١٣٨ ، وأبو نعيم : دلائل النبوة : ١ : ٢٧٥ ـ ٢٧٧ ، والآجري : الشريعة : ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ، والطيالسي : عون المعبود : ٢ : ٨٦ ، ٨٧ ـ ٨٨ (٢٣١٧ ، ٢٣١٩) ، والطبري : التفسير : ٣٠ : ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، والتاريخ : ١ : ٥٣١ ، والبغوي : شرح السنة (٣٧٣٥) .

الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابنَ عَمِّ اسْمَعْ مِن ابنِ أَخِيكَ . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى . فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هٰذا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلىٰ مُوسىٰ ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ نَعَم ، لمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا . ثُمَّ لم يَنْشَبْ ورَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ .

قال النووي[1] : هذا الحديث من مراسيل الصحابة رضي الله عنهم ، فإن عائشة رضي الله عنها لم تدرك هذه القصة[2] ، فتكون قد سمعتها من النبي ﷺ ، أو من الصحابي . .

قال ابن حجر[3] : وتعقبه من لم يفهم مراده فقال : إذا كان يجوز أنها سمعتها من النبي ﷺ ، فكيف يجزم بأنها من المراسيل؟

---

(١) مسلم بشرح النووي : ٢ : ١٩٧ .

(٢) تدفعنا منهجية البحث إلى ترجمتها فيما يأتي : عائشة بنت أبي بكر الصديق ، أم المؤمنين ، تكنى أم عبدالله ، وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس ، تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بثلاث ، وقيل : بسنة ونصف ، أو نحو ذلك ، وهي بنت ست سنين ، وقيل سبع ، وبنى بها وهي بنت تسع سنين ، وقيل : بنى بها في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة ، أقامت في صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وتوفى عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة ، من أكبر فقهاء الصحابة ، وأحد الستة الذين هم أكثر الصحابة رواية ، روي لها (٢٢١٠) ألفا حديث ومائتا حديث وعشرة أحاديث ، اتفق البخاري ومسلم على (١٧٤) مائة وأربعة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بـ (٥٤) أربعة وخمسين ، ومسلم بـ (٥٩) تسعة وخمسين ، روت عن خلق من الصحابة ، وروى عنها من الصحابة والتابعين قريب من المائتين ، توفيت سنة ثمان وخمسين ، في ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند الأكثر ، وقيل سنة سبع ، ودفنت بالبقيع رضي الله عنها : أسد الغابة : ٧ : ١٨٨ ، والإصابة : ٨ : ١٣٩ (٧٠١) ، وطبقات ابن سعد : ٨ : ٣٩ ، وتهذيب الكمال : ٣٥ : ٢٢٧ـ ٢٣٦ (٧٨٨٥) ، وتهذيب التهذيب : ١٢ : ٤٣٣ ، وتقريب التهذيب : ٢ : ٦٠٦ ، والبداية : ٨ : ٩١ ، وسير أعلام النبلاء : ٢ : ١٣٥ـ ٢٠١ (١٩) ، وأسماء الصحابة الرواة : ٣٩ (٤) .

(٣) فتح الباري : ٨ : ٧١٦ .

والجواب أن مرسل الصحابي ما يرويه من الأمور التي لم يدرك زمانها ، بخلاف الأمور التي يدرك زمانها ، فإنها لا يقال إنها مرسلة ، بل يحمل على أنه سمعها أو حضرها ، ولو لم يصرح بذلك ، ولا يختص هذا بمرسل الصحابي ، بل مرسل التابعي إذا ذكر قصة لم يحضرها سميت مرسلة ، ولو جاز في نفس الأمر أن يكون سمعها من الصحابي الذي وقعت له تلك القصة ، وأما الأمور التي يدركها فيحمل على أنه سمعها أو حضرها ، لكن بشرط أن يكون سالماً من التدليس .

ويؤيد أنها سمعت ذلك من النبي ﷺ قولها في أثناء هذا الحديث :

[فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بقارىء . قال فأخذني] إلى آخره .

قال الطيبي[1] : الظاهر أنها سمعت من النبي ﷺ ، لقولها :

[قال فأخذني فغطني] .

فيكون قولها : **[أو ما بدىء به رسول الله ﷺ]** ، حكاية ما تلفظ به صلوات الله عليه .

وهذا كما قال ابن حجر : ظاهر في أن النبي ﷺ أخبرها بذلك ، فتحمل بقية الحديث عليه[2] .

---

(١) الكواكب الدراري : ١ : ٣١ .

(٢) فتح الباري : ٨ : ٧١٦ ، وانظر : عمدة القارىء : ١ : ٢٠٩ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦١ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢٠٩ ، ويطول بنا الحديث لو حاولنا ذكر الأقوال في حجية مرسل الصحابي ، وحسبنا ما جاء في علوم الحديث لابن الصلاح : ٥٦ ، والتقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح للعراقي : ٨٠ ، والنكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر : ٢ : ٥٧٠ ـ ٥٧١ ، وتوجيه النظر : ٢ : ٥٦١ ، وتدريب الراوي : ١ : ٢٠٧ وما بعدها ، وقواعد التحديث : ١٤٨ ، وهدي الساري : ٣٥٠ ، وجامع التحصيل : ٣٦ وما بعدها .

غريب الألفاظ

مفهوم الوحي:

أصل الوحي[1] : الإعلام في خفاء ، وأيضاً : الكتابة ، والمكتوب ، والبعث ، والإلهام ، والأمر ، والإيماء ، والإشارة ، والتصويت شيئًا بعد شيء ، وقيل : أصله التفهيم ، وكل ما دللت به من كلام ، أو كتابة ، أو رسالة ، أو إشارة ، فهو وحي .

والقول الجامع في معنى الوحي اللغوي[2] : أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه ، بحيث يخفى على غيره ، ومنه الإلهام الغريزي ، كالوحي إلى النحل ، قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ .

(آية ٦٨ ـ ٦٩ سورة النحل) .

وإلهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الإنسان السليم الفطرة ، كالوحي إلى أم موسى ، قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ .

(آية ٧ سورة القصص) .

---

(١) اللسان ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، ومجمل اللغة ، وأساس البلاغة ، والنهاية ، والفائق ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ، (وحى) ، وفتح الباري : ١ : ٩ ط الرياض ، وعمدة القاري : ١ : ١٤ ، وإرشاد الساري : ١ : ٤٨ ، والكليات : ١٧٣ ، ٦٩١ ، ٩١٨ ، ٩٣٦ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٨٠ .

(٢) الوحي المحمدي : ٤٤ بتصرف .

ومنه ضده ، وهو وسوسة الشيطان ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ .

(آية ١١٢ سورة الأنعام) .

وقال تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

(آية ١٢١ سورة الأنعام) .

ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة ، وهما : الخفاء والسرعة ، فهذا معنى المصدر ، وقد يطلق على متعلقه ، وهو ما وقع به الوحي ، أي اسم المفعول .

قال القاضي عياض[١] : وفي صدر كتاب مسلم عن الحارث الأعور ، فيما انتقد عليه : تعلمت القرآن في ثلاث سنين ، والوحي في سنتين ، وقوله : القرآن هيّن ، والوحي أشد ، فظاهر تأويل منكريه عليه أنه أراد به سوءاً ، لما علموا من غلوه في التشيع ، وادعائهم علم سر الشريعة لعليّ ، وتحزبهم من ذلك بما أنكره عليّ ، وكذبهم فيه ، والظاهر أنه لم يرد هذا ، وإنما أراد الكتابة ، وأن القرآن كان يحفظ عندهم تلقياً ، فكان أهون من تعلم الكتابة والخط ، وبهذا فسره الخطابي .

قلت : جاء في مقدمة صحيح مسلم بسنده عن مغيرة قال[٢] : سمعت الشعبي يقول : حدثني الحارث الأعور ، وهو يشهد أنه أحد الكاذبين .

---

(١) مشارق الأنوار (وحى) .

(٢) مقدمة صحيح مسلم : ١٩ .

وعن إبراهيم قال : قال علقمة : قرأت القرآن في سنتين ، فقال الحارث : القرآن هيّن . الوحي أشد .

وعن الأعمش عن إبراهيم ، أن الحارث قال : تعلمت القرآن في ثلاث سنين ، والوحي في سنتين ، أو قال : الوحي في ثلاث سنين ، والقرآن في سنتين .

وعن منصور والمغيرة ، عن إبراهيم : أن الحارث اتهم .

قال النووي[(١)] : ذكره مسلم في جملة ما أنكر على الحارث ، وجرح به ، وأخذ عليه من قبيح مذهبه ، وغلوه في التشيع وكذبه .

قال القاضي عياض رحمه الله : وأرجو أن هذا من أخف أقواله ، لاحتماله الصواب ، فقد فسره بعضهم بأن الوحي هنا الكتابة ومعرفة الخط ، قاله الخطابي[(٢)] ، يقال : أوحى ووحى : إذا كتب ، وعلى هذا ليس على الحارث في هذا درك ، وعليه الدرك في غيره .

وفي اصطلاح الشرع[(٣)] : إعلام الله تعالى أنبياءه ، إما بكتاب ، أو برسالة ملك ، أو منام ، أو إلهام .

ومن هنا نعلم أن مفهوم الوحي صلة[(٤)] بين الله تعالى وبين من يصطفيه من خلقه ، ويصحب هذه الصلة علم ضروري بمصدرها ، ويصاحبها ظواهر نفسية وبدنية للمصطفى ، ويتبعها آثار توجيهية يعلنها المصطفى للناس .

---

(١) مسلم بشرح النووي : ١ : ٩٨ ـ ٩٩ ، وانظر : إكمال إكمال المعلم : ١ : ٢٩ ، ومقدمة إكمال المعلم بفوائد مسلم : ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ، وترجمة الحارث في : تاريخ البخاري الكبير (٢٤٣٧) ، والصغير : ١ : ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٠٤ ، والمعرفة ليعقوب : ١ : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢ : ٥٣٤ ، ٥٥٧ ، ٦١٧ ، ٦٢٤ ، ٣ : ١١٧ ، وسير أعلام النبلاء : ٤ : ١٥٢ ـ ١٥٥ ، وميزان الاعتدال : ١ : ٤٣٥ ـ ٤٣٧ ، والتقريب : ١٤٦ ، والتهذيب : ٢ : ١٤٥ ـ ١٤٧ ، وابن سعد : ٦ : ١٦٨ ، وتهذيب الكمال : ٥ : ٢٤٤ ـ ٢٥٣ (١٠٢٥) ، والضعفاء للنسائي : ٧٧ ، والضعفاء الكبير : ١ : ٢٠٨ ، والضعفاء لابن الجوزي : ١ : ١٨١ .

(٢) انظر : غريب الحديث للخطابي : ٣ : ١١ ، ١٢ ، والفائق : ٣ : ١٨٥ ، والنهاية (وحا) .

(٣) إرشاد الساري : ١ : ٤٨ .

(٤) الرسول والوحي : ٢٣٧ .

وقد عبّر ابن خلدون عن هذا المفهوم بقوله :

استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراك الأنبياء المناسب لهم ، الخارج عن مدارك البشر بالكلية ، ثم يتنزل إلى المدارك البشرية . . كل ذلك في لحظة واحدة ، بل في أقرب من لمح البصر(١) .

يعني ابن خلدون أن الوحي يملك على النبي ﷺ قلبه وقالبه ، ويستجمع الشعور كله ، ويوجهه نحو هذا اللقاء الفريد بين الإنسان المصطفى والملك الروحاني .

ويكون للنبي في هذه الحال إدراك خاص ، ووسيلة معرفة ، غير ما ألفه البشر من الحواس والعقل ، ثم تحصل مرحلة عبور للوحي من حالته الروحية إلى حالة حسية وعقلية ، يدركها المصطفى ، ويبلغها للبشر ، في صورة أمر ، أو نهي ، أو خبر . . إلى آخره .

ولعل ابن خلدون يعبر عن نوع هام وشائع من أنواع الوحي ، وهو لقاء الملك ، وإلا فالوحي على صور ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

(آية ٥١ سورة الشورى) .

فالتلقي عن الله تعالى يكون على أنواع :

الأول : ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾ ، والمقصود هو الإلقاء في قلب النبي ﷺ بكلام خفي يدرك بسرعة ، ويعلم على جهة اليقين مصدره الإلهي .

وهذا الإلقاء ـ على جهة العموم ـ يقع يقظة ونوماً ، مثال ذلك الإلهام إلى أم موسى ـ كما سبق ـ ، وما جاء في القرآن عن إبراهيم عليه السلام قوله :

---

(١) مقدمة ابن خلدون : تحقيق درعلي عبدالواحد وافي .

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾ .

(آية ١٠٢ سورة الصافات) .

وهذا النوع ليس خاصاً بالأنبياء ، بل قد يقع لغيرهم ، فأم موسى لم تكن نبية ، والرؤيا ـ كذلك ـ تحصل لكثيرين ، وقد حصلت لملك مصر ـ على عهد يوسف عليه السلام ـ ولم يكن نبياً ولا ولياً .

الثاني : ﴿ أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ ، والمعنى أن كلام الله تعالى يصل مسموعاً إلى النبي ﷺ دون رؤية للمولى عز وجل ، فالنبي يسمع مباشرة دون واسطة ، كما حدث لموسى عليه السلام ، فقد كلمه الله ، ولكن منعه الرؤية حين طلبها ، قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ .

(آية ١٤٣ سورة الأعراف) .

وقد اختلف العلماء في حقيقة كلام الله تعالى ، وذهبوا مذاهب شتى ، جمعها الشيخ ابن أبي العز الدمشقي في تسعة أقوال[١] .

الثالث : ﴿ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا ﴾ ، والرسول هو ملك الوحي المخصص للتبليغ عن الله ، والسفارة بينه وبين رسله وأنبيائه ، وهو جبريل عليه السلام .

ملك الوحي :

وقد عبّر القرآن المجيد عن ملك الوحي بتعبيرات متعددة ، فذكره بالاسم العلم في بعضها ، وذكره بأوصاف تليق بمهمته المقدسة في البعض الآخر ، قال تعالى :

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ١٧٩ ط المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

(آية ٩٧ سورة البقرة) .

وذلك في سياق الرد على اليهود ، وبيان زيف اعتقادهم ، ومزاعمهم الفاسدة حول الله وملائكته ورسله ! !

قال ابن جرير : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل ، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل وليّ لهم ، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك[١] .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

(آية ١٠٢ سورة النحل) .

قال ابن جرير[٢] : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد للقائلين لك : إنما أنت مفتر فيما تتلو عليهم من آي كتابنا ، أنزله روح القدس : يقول : قل جاء به جبريل من عند ربي بالحق .

---

(١) تفسير الطبري : ١ : ١٤٣ ، وانظر : تفسير ابن كثير : ١ : ١٢٩ ، وتفسير القرطبي : ٢ : ٣٦ ، وتفسير الألوسي : ١ : ٣٣١ ، وتفسير القاسمي : ٢ : ١٩٨ وما بعدها ، وتفسير الشوكاني : ١ : ١٨٠ وما بعدها ، وتفسير المنار : ١ : ٣٩١ وما بعدها ، وتفسير الفخر الرازي : ٣ : ١٩٤ وما بعدها ، وتفسير ابن الجوزي : ١ : ١١٧ ، والبخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٤٨٠) ، وأحمد : ١ : ٧٨ ، وأيضاً (٢٤٨٣ ، ٢٥١٤) ، ومرويات الإمام أحمد في التفسير : ١ : ٨١ ـ ٨٣ ، والطبراني : ١٢ : ١٩٠ ـ ١٩١ (١٣٠١٢) ، ومجمع الزوائد : ٨ : ٢٤٢ ، والترمذي (٣١١٧) ، وصحيح الترمذي (٤٢٩٢) ، وتحفة الأشراف : ٤ : ٣٩٤ .

(٢) تفسير الطبري : ١٤ : ١٧٧ ، وانظر : ١ : ٤٠٥ .

وقال الراغب[1] : يعني به جبريل من حيث إنه ينزل بالقدس من الله ، أي بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الإلهي .

قال الشوكاني[2] : والقدس : التطهير ، والمعنى : نزله الروح المطهر من أدناس البشرية ، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة .

وقال تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾ .

(آية ١٧ سورة مريم) .

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً ، واتخذت من دونهم حجاباً : جبريل ، وبنحو الذي قلنا في ذلك : قال أهل التأويل[3] .

وقال تعالى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ .

(آية ١٩٢ ـ ١٩٥ سورة الشعراء) .

قال ابن كثير[4] : يقول تعالى مخبراً عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي القرآن العظيم . . ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي أنزله الله عليك ، وأوحاه إليك ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ وهو جبريل عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ،

---

(١) المفردات (قدس) .
(٢) تفسير الشوكاني : ٣ : ١٩٨ .
(٣) تفسير الطبري : ١٦ : ٦٠ .
(٤) تفسير ابن كثير : ٣ : ٣٤٧ .

وعطية العوفي ، والسدي ، والضحاك ، والزهري ، وابن جريج ، وهذا مما لا نزاع فيه .

وهنا نلحظ وصف جبريل عليه السلام بالحسنيين ، فهو طاهر في ذاته مبرأ من كل دنس وإثم ، وفي الوقت ذاته أمين على ما نزل به ، حفيظ عليه .

مراتب الوحي :

ونجد أنفسنا أمام ضرورة الحديث عن مراتب الوحي[1] ، فيما يلي :

الأولى : [الرؤيا الصالحة] : سبق أن ذكرنا أن الرؤيا تقع لغير الأنبياء ، وهذا معلوم ، بيد أن الرؤيا الواردة في الحديث مقيدة بالصالحة ، وفي رواية للبخاري ومسلم **[الرؤيا الصادقة]**[2] .

قال الكرماني[3] : وهما هنا بمعنى ، والصالحة إما صفة موضحة للرؤيا ، لأن غير الصالحة تسمى بالحلم ، كما ورد فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سلمة قال : سمعت أبا قتادة عن النبي ﷺ قال :

[الرؤيا الصادقة من الله ، والحلم من الشيطان][4] .

وإما مخصصة ، أي الرؤيا الصالحة لا الرؤيا السيئة ، أو لا الكاذبة المسماة بأضغاث أحلام ، والصلاح إما باعتبار صورتها ، وإما باعتبار تعبيرها ، قال

---

(١) زاد المعاد : ١ : ٧٨ ، وانظر : الروض الأنف : ١ : ٢٦٩ وما بعدها ، وطرح التثريب : ٤ : ١٨١ـ ١٨٢ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢٢٥ وما بعدها .

(٢) البخاري : ٩١ـ التعبير (٦٩٨٢) ، ومسلم : ١ـ الإيمان (١٦٠) .

(٣) الكواكب الدراري : ١ : ٣١ .

(٤) البخاري : ٩١ـ التعبير (٦٩٨٤ ، ٦٩٩٥ ، ٥ . ٧٠) ، ومسلم (٢٢٦١) ، ومالك : ٢ : ٩٥٧ ، وأحمد : ٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، والحميدي (٤١٩ ـ ٤٢٠) ، والدارمي : ٢ : ١٢٤ ، والبغوي (٣٢٧٤ ، ٣٢٧٥) ، وابن حبان : الإحسان (٦٠٥٩) ، وابن أبي شيبة : ٧ : ٢٣٩ ، وأبو داود (٥٠٢١) ، والترمذي (٢٢٧٧) ، والنسائي في اليوم والليلة (٨٩٧ ، ٩٠٠ ، ٩٠١) ، والكبرى كما في التحفة : ٩ : ٢٧٠ ، وابن ماجه (٣٩٠٩) .

القاضي عياض : يحتمل أن يكون معنى الرؤيا الصالحة والحسنة حسن ظاهرها ، ويحتمل أن المراد صحتها ، قال : ورؤيا السوء تحتمل الوجهين أيضاً ، سوء الظاهر ، وسوء التأويل .

قال القسطلاني : وذكر النوم بعد الرؤيا المخصوصة به ، لزيادة الإيضاح والبيان ، أو لدفع وهم من يتوهم أن الرؤيا تطلق على رؤية العين ، فهو صفة موضحة ، أو لأن غيرها يسمى حلماً ، أو تخصيص دون السيئة والكاذبة المسماة بأضغاث الأحلام ، وأهل المعاني يسمونها صفة فارقة(١) .

الثانية(٢) : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه ، من غير أن يراه ، كما قال النبي ﷺ :

[إن رُوح القدس نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . .] الحديث .

صحيح بشواهده(٣) .

الثالثة : أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً ، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقوله

---

(١) إرشاد الساري : ١ : ٦١ .

(٢) زاد المعاد : ١ : ٧٨ وما بعدها .

(٣) في فقه السيرة : ٩١ قال الألباني : حديث صحيح جاء من طرق : الأول عن ابن مسعود ، أخرجه الحاكم : ٢ : ٤ ، والثاني عن أبي أمامة ، أخرجه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم : الحلية : ١٠ : ٢٧ ، والثالث عن حذيفة ، أخرجه البزار ، كما في الترغيب : ٣ : ٧ ، والهيثمي : مجمع الزوائد : ٤ : ٧١ ، قال : وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة . . وبقية رجاله ثقات ، قلت : وفي البحر الزخار : مسند البزار : ٧ : ٣١٤ ـ ٣١٥ (٢٩١٤) وفيه قدامة قال : حدثني أبي عن عاصم ، عن زر ، عن حذيفة ، وقال : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن حذيفة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد ، قال محققه : أورده الهيثمي في كشف الأستار : ٢ : ٨١ ـ ٨٢ (١٢٥٣) ، وابن حجر في مختصر زوائد البزار : ١ : ٥٠٦ (٨٧٤) ، وقال الأرنؤوط في : زاد المعاد : ١ : ٧٩ بعد أن أشار إلى بعض ما سبق من الشواهد ، وآخر من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) ، وابن حبان (١٠٨٤ ، ١٠٨٥) ، وقال : فيصح الحديث بها ، وانظر : شرح السنة للبغوي : ١٣ : ٣٢٥ ، وفتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر : ١ : ٦٧ ـ ٦٨ ، وقال ابن حجر : أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة ، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود : فتح الباري : ١ : ٢٠ .

له ، وفي هذه المرحلة كان يراه الصحابة أحياناً ، فقد روى مسلم وغيره من حديث طويل أن الرسول ﷺ قال لعمر رضي الله عنه في آخر الحديث :

[. . يا عمر ! أتدري من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم][1] .

الرابعة : أنه كان يأتيه مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، فيتلبّس به الملك ، حتى إن جبينه ليتفصّد عرقاً في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك ، وفخذه على فخذ زيد ابن ثابت ، فثقلت عليه حتى كادت ترضّها .

يروي الشيخان وغيرهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث ابن هشام رضي الله عنه ، سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ :

[أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليَّ ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول] .

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً[2] .

---

(١) مسلم : ١ : الإيمان (٨) ، وأحمد : ١ : ٢٧ ، ٥١ـ٥٢ ، ٥٣ ، وأبو داود (٤٦٩٥) ، والترمذي (٢٦١٠) ، والنسائي : ٨ : ٩٧ ، وابن ماجه (٦٣) ، والطيالسي : ٢٤ ، وابن حبان : الإحسان (١٦٨ ، ١٧٣) ، وابن منده في الإيمان (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦) ، والبغوي في شرح السنة (٢) .

(٢) البخاري : ١ـ بدء الوحي (٢) ، واللفظ له ، و٥٩ـ بدء الخلق (٣٢١٥) ، وخلق أفعال العباد : ١٣٦ـ١٣٧ (٤٢١) ، ومسلم (٢٣٣٣) ، والترمذي (٣٦٣٤ ، ٣٦٣٨) ، والموطأ : ١٥ـ القرآن (٧) ، وأحمد : ٦ : ١٥٨ ، ١٦٣ ، ٢٥٦ـ٢٥٧ ، وابن سعد : ١ : ١٩٨ ، والنسائي : ٢ : ١٤٦ـ ١٤٧ ، وفي التفسير من «الكبرى» كما في «التحفة» : ١٢ : ١٩٤ ، وابن حبان : الإحسان (٣٨) ، والبغوي (٣٧٣٧) ، والبيهقي : الأسماء والصفات : ٢٠٤ ، والدلائل : ٧ : ٥٢ـ٥٣ ، وأبو نعيم : الدلائل : ١ : ٢٧٩ ، والحميدي (٢٥٦) ، وانظر : فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر : ١ : ٦٠ .

ويروي الحاكم بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها :

أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه ، وهو على ناقته ، وضعت جرانها ، فلم تستطع أن تتحرك ، وتلت قول الله عز وجل :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ .

(آية ٥ سورة المزمل) .

وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي(١) .

ويروي البخاري وغيره من حديث زيد بن ثابت أن النبي ﷺ أملى عليه(٢) :

﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

(آية ٩٥ سورة النساء) .

فجاءه ابن أم مكتوم ، وهو يُملّها عليّ . قال : يا رسول الله ! والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكانَ أعمى ـ فأنزل الله على رسوله ﷺ ، وفخذه على فخذي ، فثقُلَت عليّ ، حتى خفتُ أن تُرضّ فخذي ، ثم سُرِّي عنه ، فأنزل الله :

﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين .

---

(١) المستدرك : ٢ : ٥٠٥ ، وانظر : أحمد : ٦ : ١١٨ ، ٤٥٥ ، والجران : باطن العنق : النهاية (جرن) .

(٢) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٥٩٢) ، وأبو داود (٢٥٠٧) ، والترمذي (٣٠٣٣) ، والنسائي : ٦ : ٩ ـ ١٠ ، وأحمد : ٥ : ٨٤ ، وسعيد بن منصور (٢٣١٤) ، والبيهقي : ٩ : ٢٣ ـ ٢٤ ، وابن الجارود (١٠٣٤) ، والطبراني (٤٨١٤ ـ ٤٨١٦) ، والبغوي (٣٧٣٩) .

يروي مسلم من حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها ، أن الرسول ﷺ قال[١] :

[. . لم أره ـ يعني جبريل ـ على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء . ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض . .] . الحديث .

وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة[٢] :

لم يره في صورته إلا مرتين : مرة عند سدرة المنتهى ، ومرة في جياد ، له ستمائة جناح قد سد الأفق .

السادسة : ما أوحاه الله ، وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها[٣] .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ، كما كلّم الله موسى ابن عمران ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعاً بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء[٤] .

الثامنة[٥] : قال العراقي : وهي تكليم الله له كفاحاً بغير حجاب ، وهذا على مذهب من يقول : إنه عليه الصلاة والسلام رأى ربه تبارك وتعالى[٦] .

ذكرها ابن القيم بقوله[٧] : وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة . .

قال العراقي[٨] : ويحتمل أن ابن قيم الجوزية أراد بالمرتبة السادسة ، وحي

---

(١) مسلم : ١ ـ الإيمان (١٧٧) .
(٢) الترمذي (٣٢٧٨) .
(٣) انظر : أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج : ١٤ وما بعدها .
(٤) انظر : المرجع السابق .
(٥) طرح التثريب : ٤ : ١٨٢ .
(٦) انظر : أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج : ٦١ ـ ٧١ .
(٧) زاد المعاد : ١ : ٨٠ .
(٨) طرح التثريب : ٤ : ١٨٢ .

جبريل عليه السلام، وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الإيحاء، أي كونه فوق السماوات، بخلاف ما تقدم، فإنه كان في الأرض، ولا يقال يلزم عليه أن تتعدد أقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل إلى النبي عليهما الصلاة والسلام، وهو غير ممكن، لأنا نقول: غاير الوحي الحاصل في السماء غيره، باعتبار ما في رؤية تلك المشاهد من الغيب، فهو نوع غير الأرض، على اختلاف بقاعها، وفيه نظر.

وقد أشار ابن حجر إلى تلك المراتب إجمالاً[1]، وقسمها إلى ما هو من صفات الوحي، وما هو من صفات حامل الوحي.

بيد أنه ذكر من صفات الوحي مجيئه كدويّ النحل، وقال: وأما فنون الوحي فدويّ النحل لا يعارض صلصلة الجرس، لأن سماع الدويّ بالنسبة إلى الحاضرين - كما في حديث عمر - [**يسمع عنده دويّ كدويّ النحل**][2]،

---

(١) فتح الباري: ١: ١٩-٢٠.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣) تحقيق أحمد شاكر، قال: وإسناده صحيح، نقله ابن كثير في التفسير: ٣: ٢٣٧ عن المسند، ثم قال: ورواه الترمذي في تفسيره، والنسائي في الصلاة من حديث عبدالرزاق به، وقال الترمذي: منكر، لا نعرف أحداً رواه غير يونس بن سليم، ويونس لا نعرفه، كذا قال، ولم أجده في سنن النسائي، وهو في الترمذي: ٤٨ - تفسير القران (٣١٧٣) من طريق عبدالرزاق عن يونس بن سليم عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عبدالرحمن بن عبدالقاري قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدويّ النحل.. ثم رواه عن طريق عبدالرزاق أيضاً عن يونس بن سليم، عن يونس بن يزيد، عن الزهري بهذا الإسناد نحوه بمعناه، قال أبو عيسى: هذا أصح من الحديث الأول، سمعت إسحاق ابن منصور يقول: روى أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وإسحاق بن إبراهيم، عن عبدالرزاق، عن يونس بن سليم، عن يونس بن يزيد، عن الزهري هذا الحديث، قال أبو عيسى: ومن سمع من عبدالرزاق قديماً فإنهم إنما يذكرون فيه عن يونس بن يزيد، وبعضهم لا يذكر فيه عن يونس بن يزيد، ومن ذكر فيه يونس بن يزيد فهو أصح، وكان عبدالرزاق ربما ذكر في هذا الحديث يونس بن يزيد، وربما لم يذكره، وإذا لم يذكر فيه يونس فهو مرسل، قال الشيخ أحمد شاكر: ولم يقل غير هذا، فالظاهر أن نسبة ابن كثير للترمذي سهو منه، وأنه كلام النسائي، انظر: تحقيق أحمد شاكر، والمستدرك: ١: ٥٣٥ فقد رواه الحاكم بإسنادين: أحدهما عن طريق المسند، وصححه، ووافقه الذهبي، قلت: وفي المستدرك: ٢: ٣٩٢ تعقبه الذهبي بقوله: قلت: سئل عبدالرزاق عن شيخه ذا، فقال: أظنه لا شيء، قال الألباني: وفي الميزان أقر النسائي على قوله: هذا حديث منكر، وتوثيق ابن حبان لابن سليم هذا مما لا يعتد به، لاسيما وتلميذه عبدالرزاق أدرى به من ابن حبان: فقه السيرة: ٩١.

والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ ، فشبهه عمر بدويّ النحل بالنسبة إلى السامعين ، وشبهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه .

وأما النفث في الروع فيحتمل أنه يرجع إلى إحدى الحالتين ، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة نفث حينئذ في روعه .

وأما الإلهام فلم يقع السؤال عنه ، لأن السوال وقع في صفة الوحي الذي يأتي بحامل ، وكذلك التكليم ليلة الإسراء .

وأما الرؤية الصالحة فقال ابن بطال : لا ترد ، لأن السوال وقع عما ينفرد به عن الناس ، لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره .

والرؤيا الصادقة وإن كانت جزءاً من النبوة فهي باعتبار صدقها لا غير ، وإلا لساغ ، لصاحبها أن يسمى نبياً ، وليس كذلك .

ويحتمل أن يكون السؤال وقع عما في اليقظة ، أو لكون حال المنام لا يخفى على السائل ، فاقتصر على ما يخفى عليه ، أو كان ظهور ذلك له ﷺ في المنام أيضاً على الوجهين المذكورين لا غير ، قاله الكرماني ، وفيه نظر .

وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً - فذكرها - ، وغالبها من صفات حامل الوحي ، ومجموعها يدخل فيما ذكر .

وقد كان الرسول ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، كما روى الشيخان وغيرهما عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قال :

كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه ، فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما ، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما - فحرك شفتيه - فأنزل الله تعالى :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ .

(آية ١٦ ـ ١٧ سورة القيامة) .

قال : جمعه لك في صدرك ، وتقرؤه :

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ .

(آية ١٨ سورة القيامة) .

قال فاستمع له وأنصت :

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ .

(آية ١٩ سورة القيامة) .

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[١] .

فلق الصبح:

قال الكرماني[٢] : ضياؤه ، وإنما يقال هذا في الشيء البيّن الواضح ، قيل : هو مصدر كالانفلاق ، والصحيح أنه بمعنى المفلوق ، وهو اسم للصبح ، وأضيف أحدهما إلى الآخر لاختلاف اللفظين ، وقد جاء الفلق منفرداً عن الصبح ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ ﴾ . (آية ١ سورة الفلق) .

---

(١) البخاري : ١ ـ بدء الوحي (٥) واللفظ له ، وأيضاً : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٢٧ ، ٤٩٢٨ ، ٤٩٢٩) ، و٦٦ ـ فضائل القرآن (٥٠٤٤) ، و٩٧ ـ التوحيد (٧٥٢٤) ، ومسلم : (٤٤٨) ، والنسائي : ٢ : ١٤٩ ، وأحمد : ١ : ٣٤٣ ، والبيهقي : الأسماء والصفات : ١٩٨ ، والطيالسي (٢٦٢٨) ، وابن حبان : الإحسان (٣٩) ، وابن سعد : ١ : ١٩٨ ، والحميدي (٢٥٧) ، والترمذي (٣٣٢٩) ، والطبراني (١٢٢٩٧) .

(٢) الكواكب الدراري : ١ : ٣١ .

وقيل : الفلق : الصبح ، لكنه لما كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره أضيف إليه للتخصيص والبيان ، إضافة العام إلى الخاص . .

قال العيني[1] : تنصيصه - أي الكرماني - على الصحيح غير صحيح ، بل الصحيح أنه إما اسم للصبح ، وجوزت الإضافة فيه لاختلاف اللفظين ، وإما مصدر بمعنى الانفلاق ، وهو الانشقاق ، من فلقت الشيء أفلِقه - بالكسر - فلقاً : إذا شققته .

وقال ابن حجر[2] : أي مشبهة ضياء الصبح ، أو على أنه صفة لمحذوف ، أي جاءت مجيئًا مثل فلق الصبح ، والمراد بفلق الصبح ضياؤه ، وخص بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لاشك فيه .

وقال القسطلاني[3] : وعبر بفلق الصبح لأن شمس النبوة قد كانت مبادي أنوارها الرؤيا ، إلى أن ظهرت أشعتها ، وتم نورها .

قال القاضي عياض وغيره[4] : إنما ابتدىء عليه الصلاة والسلام بالرؤيا ، لئلا يفجأه الملك ، ويأتيه صريح النبوة بغتة ، فلا تحتملها قوى البشرية ، فبدىء بأوائل خصال النبوة ، وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا . . وسلام الحجر عليه بالنبوة .

يروي مسلم وغيره عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ[5] :

---

(١) عمدة القاري : ١ : ٤٨ .

(٢) فتح الباري : ١ : ٢٣ ط الرياض .

(٣) إرشاد الساري : ١ : ٦١ ، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية : ١ : ٢١٠ .

(٤) طرح التثريب : ٤ : ١٨٤ بتصرف .

(٥) مسلم : ٤٣ - الفضائل (٢٢٧٧) ، والدارمي : ١ : ١٢ ، وأحمد : ٥ : ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، وابن أبي شيبة : ٧ : ٤٢٤ ، والبيهقي : الدلائل : ٢ : ١٥٣ ، وأبو نعيم : الدلائل : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، والبغوي (٣٧٠٩) ، والطيالسي (١٩٠٧) ، والترمذي (٣٦٢٤) ، والطبراني في الكبير (١٩٠٧ ، ١٩٦١ ، ٢٠٢٨) ، وفي الأوسط (٢٠٣٣) ، وفي الصغير (١٦٧) ، وابن حبان : الإحسان (٦٤٨٢) .

[إني لأعـرف حجـراً بمكـة كـان يسلّم عليّ قبل أن أبعث . إني لأعـرفه الآن] .

حُبِّب إليه الخلاء :

قال القسطلاني[١] : عبّر بحُبِّب المبني لما لم يسم فاعله ، لعدم تحقق الباعث على ذلك ، وإن كان كل من عند الله ، أو تنبيهاً على أنه لم يكن من باعث البشر ، وإنما حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق ، ليجد الوحي منه متمكناً . .

وفيه تنبيه على فضل العزلة ، لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا ، وتفرغه لله تعالى ، فيتفجر منه ينابيع الحكمة ، والخلوة أن يخلو عن غيره ، بل وعن نفسه بربه ، وعند ذلك يكون خليقاً بأن يكون قالبه ممراً لواردات علوم الغيب ، وقلبه مقراً لها ، وخلوته ﷺ إنما كانت لأجل التقرب ، لا على أن النبوة مكتسبة .

والخلاء[٢] : الخلوة ، قاله النووي ، ويحتمل أن يراد به المكان الخالي الذي ليس فيه أحد ، والمعنيان متقاربان ، لكنهما متغايران .

قال الخطابي[٣] : حُبِّبت العزلة إليه ، لأن فيها فراغ القلب ، وهي معينة على التعبد ، وبها ينقطع عن مألوفات البشر ، ويخشع قلبه ، وهي من جملة المقدمات التي أرهصت لنبوته ، وجعلت مبادىء لظهورها .

غار حراء :

قال العيني[٤] : الغار ـ بالغين المعجمة ـ : فسره جميع شراح البخاري بأنه النقب في الجبل ، وهو قريب من معنى الكهف .

---

(١) إرشاد الساري : ١ : ٦٢ .
(٢) طرح التثريب : ٤ : ١٨٤ .
(٣) الكواكب الدراري : ١ : ٣٢ .
(٤) عمدة القاري : ١ : ٤٨ ـ ٤٩ .

وقال: الغار هو الكهف، وفي العباب: الغار كالكهف في الجبل، ويجمع على غيران، ويصغّر على غوير، فتصغيره يدل على أنه واوي، فلذلك ذكره في العباب في (غور)، وحراء - بكسر الحاء وتخفيف الراء بالمد - وهو مصروف على الصحيح، ومنهم من منع صرفه، ويذكر على الصحيح أيضاً، ومنهم من أنثه، ومنهم من قصره أيضاً، فهذه ست لغات.

قال القاضي عياض: يمد ويقصر، ويذكر ويؤنث، ويصرف ولا يصرف، والتذكير أكثر، فمن ذكره صرفه، ومن أنثه لم يصرفه، يعني على إرادة البقعة أو الجهة التي فيها الجبل، وضبطه الأصيلي بفتح الحاء والقصر، وهو غريب.

قال الخطابي[1]: العوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع: يفتحون الحاء وهي مكسورة، ويكسرون الراء وهي مفتوحة، ويقصرون الألف وهي ممدودة.

وقال التيمي: العامة لحنت في ثلاثة مواضع: فتح الحاء، وقصر الألف، وترك صرفه، وهو مصروف في الاختيار، لأنه اسم جبل.

وقال الكرماني[2]: إذا جمعنا بين كلاميهما يلزم اللحن في أربعة مواضع، وهو من الغرائب، إذ بعدد كل حرف لحن، ولقائل أن يقول: كسر الراء ليس بلحن، لأنه بطريق الإمالة.

وهو جبل[3] بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال، على يسار الذاهب إلى مِنى.

وقد ذكر القسطلاني في المواهب ناقلاً عن ابن أبي جمرة[4] حكمة اختصاص تحبّب الله تعالى إلى رسوله ﷺ الخلاء في غار حراء دون غيره من الأماكن التي تصلح للخلوة، وهي كثيرة في جبال مكة وودیانها، ما يأتي بتصرف للبيان[5]:

---

(١) انظر: طرح التثريب: ٤: ١٨٥، والكواكب الدراري: ١: ٣٢.

(٢) الكواكب الدراري: ١: ٣٢.

(٣) المراجع السابقة، وشرح الزرقاني: ١: ٢١٠.

(٤) انظر: بهجة النفوس: ١: ٩ وما بعدها.

(٥) شرح الزرقاني: ١: ٢٢٢ وما بعدها، ومحمد رسول الله ﷺ: ١: ٤٧٠ - ٤٧٢ بتصرف.

أولاً : إن غار حراء منزو في انعطاف وميل عن طرق مرور الناس عليه ، وهذا الوضع يزيد في تمكن المختلي فيه من البُعد عن الناس ، وضوضاء الحياة ، ويساعد على عدم مخالطتهم والتفرغ للتعبّد ، وهي أمور كان يقصد إليها النبي ﷺ في خلائه وتعبّده بالتفكّر في مصنوعات الله وبدائع ملكوته .

ولاشك أن البعد عن الناس وحركاتهم في تقلباتهم لطلب مصالحهم ومعاشهم أجمع للفكر وخواطر القلب ، وأبلغ في عمق التفكر والتأمل ، وأقرب إلى التهدي .

ثانياً : إن هذا الغار يقع في موقع يبصر منه المعتكف فيه بيت الله المحرّم (الكعبة المشرّفة) ، والنظر إلى البيت الحرام عبادة ، تذكر بأعظم متعبّد بقي على تقلبات الحياة وصروفها ، وقد طاول الزمن وغالبه ، فاستطال عليه وغلبه ، لأنه الأثر الثابت تاريخياً من تراث أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ، وهما جدّا محمد ﷺ الأعليان ، إليهما يرتفع نسبه الشريف المحقق .

وقد بقي التعبد بتعظيم هذا البيت ، والطواف حوله سنة متبعة من سنن الرسالات الإلهية التي أحيت رسالة محمد ﷺ معالمها الأصيلة ، فجعلت من الطواف حول هذا البيت وتعظيمه أحد أركانها ، وشرعة في منهاج تعبداتها .

وبالتأمل فيما ذكرنا يتبيّن أن الخلاء في غار حراء يجمع ثلاث عبادات ، كانت كلها محققة ومقصودة للنبي ﷺ في خلائه به :

الأولى : الخلوة التامة .

الثانية : التحنّث .

الثالثة : النظر إلى بيت الله الحرام .

التحنّث :

قال الكرماني(١) : التحنّث ـ بالحاء المهملة والنون ثم الثاء المثلثة ـ : التعبّد ، وحقيقته : التجنّب عن الحنث ، وهو الإثم ، فكأن المتعبّد يلقي الإثم عن نفسه بالعبادة .

---

(١) الكواكب الدراري : ١ : ٣٢ ، وانظر : عمدة القاري : ١ : ٤٩ .

قال الخطابي : ونظيره في الكلام : التحوّب والتأثّم : أي ألقى الحوب والإثم عن نفسه ، قالوا : وليس في كلامهم تفعّل بهذا المعنى غير هذه .

وأقول : هذه شهادة نفي ، وكيف وقد ثبت في الكتب الصرفية أن باب تفعّـل يجيء للتجنّب كثيراً ، نحو تحرّج وتخوّن ، أي اجتنب الحرج والخيانة ، وغير ذلك .

قال التيمي : هذا من المشكلات ، ولا يهتدي إليه سوى الحذّاق ، وسئل ابن الأعرابي عن قوله يتحـنّث ، فقال : لا أعرفه ، وسألت أبا عمرو الشيباني فقال : لا أعرف يتحـنّث ، إنما هو يتحنّـف من الحنفية .

قلت : جاء في رواية للبخاري من طريق يونس قال : أخبرني ابن شهاب أن عروة بن الزبير أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :

كان أول ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبّب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء فيتحنّـث فيه ، قال : والتحنّث : التعبّد . . الحديث[1] .

قال ابن حجر[2] : هذا ظاهر في الإدراج ، إذ لو كان من بقية كلام عائشة لجاء فيه قالت ، وهو يحتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه .

وقال : وهو من تفسير الزهري ، كما جزم به الطيبي ، ولم يذكر دليله[3] .

وقال ابن الأثير : يقال : فلان يتحنّـث : أي يفعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج ، كما تقول : يتأثّم ويتحرّج : إذا فعل ما يخرج به من الإثم والحرج .

قال عياض : ومعناه يطرح الإثم عن نفسه ، ويفعل ما يخرجه عنه[4] .

---

(١) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .

(٢) فتح الباري : ٨ : ٥٨٨ ط الريان .

(٣) المرجع السابق : ١ : ٢٣ ط الرياض .

(٤) النهاية ، ومشارق الأنوار (حنث) .

وقال ابن هشام[1] : تقول العرب : التحنّث والتحنّف : يريدون الحنفية ، فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدث وجدف ، يريدون القبر .

قلت : ولا حاجة فيه إلى الإبدال ، فمعناه واضح - كما سبق - وهو من الأفعال التي معناها السلب - كما قال القسطلاني - : أي اجتناب فاعلها لمصدرها[2] .

وفي حديث ابن إسحاق : والتحنّث : التبرّر[3] .

قال السهيلي : تفعّل من البر ، وتفعّل : يقتضي الدخول في الفعل ، وهو الأكثر فيها ، مثل تفقّه وتعبّد وتنسّك ، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطراحه ، كالتأثّم والتحرّج[4] .

الليالي َذواتِ العدد :

قال الكرماني[5] : منصوب على الظرف ، والعامل فيه يتحنّث ، لا التعبّد ، وإلا فسد المعنى ، فإن التحنّث لا يشترط فيه الليالي ، بل هو مطلق التعبّد .

وقال القسطلاني[6] : أبهم العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدد التي يتخللها مجيئه إلى أهله .

وعند ابن إسحاق شهر رمضان[7] .

---

(١) السيرة النبوية : ١ : ٢٩٩ .

(٢) إرشاد الساري : ١ : ٦٢ .

(٣) السيرة النبوية : ١ : ٢٩٨ - ٢٩٩ من حديث عبيد بن عمير ، صرح ابن إسحاق بالسماع ، وسنده متصل ، ورواه الطيالسي من غير طريق ابن إسحاق ، وسنده منقطع ، لجهالة الرواي عن عائشة : منحة المعبود : ٢ : ١٨٧ ، والطبري في تاريخه : ٢ : ٣٠٠ من طريق ابن إسحاق ، وبه يكون الحديث صحيحاً من طريقه .

(٤) الروض الأنف : ١ : ٢٦٧ .

(٥) الكواكب الدراري : ١ : ٣٢ .

(٦) إرشاد الساري : ١ : ٦٢ .

(٧) السيرة النبوية : ١ : ٣٠٠ .

وقد اختلف العلماء في كيفية تلك العبادة[1] .

وقال ابن حجر[2] : إذا علم أنه كان يجاور في غار حراء في شهر رمضان ، وأن ابتداء الوحي جاءه وهو في الغار المذكور ، اقتضى ذلك أنه نبىء في شهر رمضان ، ويعكر على قول ابن إسحاق أنه بعث على رأس الأربعين[3] ، مع قوله إنه في شهر رمضان ولد ، ويمكن أن يكون المجيء في الغار كان أولاً في شهر رمضان ، وحينئذ نبىء ، وأنزل عليه :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ . (آية ١ سورة العلق) .

ثم كان المجيء الثاني في شهر ربيع الأول بالإنذار ، وأنزلت عليه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ . (آية ١ ـ ٢ سورة المدثر) .

فيحمل قول ابن إسحاق «على رأس الأربعين» أي عند المجيء بالرسالة .

وأخرج أحمد بسند حسن عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال :

[أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان][4] .

قال ابن حجر[5] : وهذا كله مطابق لقوله تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ . (آية ١٨٥ سورة البقرة) .

---

(١) انظر : الكواكب الدراري : ١ : ٣٢ ـ ٣٣ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٨٥ ـ ١٨٦ ، والبداية : ٣ : ٦ ـ ٧ .

(٢) فتح الباري : ٨ : ٧١٧ ـ ٧١٨ط الرياض ، وانظر : مسلم (١١٦٢) ، وأحمد : ٥ : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، والسنن الكبرى للبيهقي : ٤ : ٢٩٣ .

(٣) انظر : السيرة النبوية : ابن هشام : ١ : ٢٩٦ ـ ٢٩٨ ، وشرح المواهب : ١ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، والسيرة النبوة : ابن كثير : ١ : ٣٨٥ ، والروض الأنف : ١ : ٢٦٥ ، وعيون الأثر : ١ : ٨١ .

(٤) أحمد : ٤ : ١٠٧ ، والفتح الرباني : ١٨ : ٤٦ وسنده حسن ، وانظر : فتح الباري : ٩ : ٥ .

(٥) فتح الباري : ٩ : ٥ .

جاءه الحق :

قال ابن حجر(1) : أي الأمر الحق ، وفي التفسير(2) : حتى فجئه ـ بكسر الجيم ـ وتفتح كما في الديباج(3) ، أي بغتة . . وسمي حقاً لأنه وحَي من الله تعالى .

قال الكرماني(4) : أي جبريل عليه السلام ، فإن قلت : مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي ، بل هو نفسه ، إذ المراد بمجيء الوحي مجيء حامل الوحي ، أي فما معنى الفاء التعقيبية؟ قلت : هذه الفاء تسمى بالفاء التفسيرية ، نحو قوله تعالى :

﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ .

(آية ٥٤ سورة البقرة) .

إذ القتل نفس التوبة على أحد التفاسير ، وتسمى بالفاء التفصيلية أيضاً ، لأن مجيء الملك إلى آخره تفصيل للمجمل الذي هو مجيء الحق ، ولاشك أن المفصل هو نفس المجمل ، وفي رواية مسلم(5) : [**حتى فجئه الحق**] بكسر الجيم ، من الفجأة ، أي جاءه الحق بغتة ومفاجأة ، فإنه لم يكن متوقعاً للوحي ، وقال الطيبي : معنى حتى جاءه الحق : جاء أمر الحق ، وهو الوحي ، ورسول الحق ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام .

قال ابن حجر(6) : هذه الفاء تسمى التفسيرية وليست التعقيبية ، لأن مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي ، حتى تعقب به ، بل هو نفسه ، ولا يلزم من هذا التقرير أن يكون من باب تفسير الشيء بنفسه ، بل التفسير عين المفسر به من جهة الإجمال ، وغيره من جهة التفصيل .

---

(1) المرجع السابق : ١ : ٢٣ .

(2) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .

(3) انظر : شرح الزرقاني : ١ : ٢١١ .

(4) الكواكب الدراري : ١ : ٣٣ .

(5) مسلم : ١ ـ الإيمان (١٦٠) .

(6) فتح الباري : ١ : ٢٣ ـ ٢٤ ط الرياض .

ما أنا بقارىء :

ثلاثاً قال ابن حجر(١) : [ما] نافية ، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حكي عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفي ، أي ما أحسن القراءة .

قال القسطلاني(٢) : وأجيب بأنها استفهامية ، بدليل رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : [**كيف أقرأ؟**] ، وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق [**ماذا أقرأ؟**] دلتا على أنها استفهامية ، وقد جوز الأخفش دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في «بحسبك زيد» فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة .

قال ابن حجر(٣) : فإن قيل لم أكرر ذلك ثلاثاً؟ أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً [**ما أنا بقارىء**] على الامتناع ، وثانياً على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً على الاستفهام .

ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازيه عن عروة أنه قال : [**كيف أقرأ؟**] ، وفي رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق [**ماذا أقرأ؟**] ، وفي مرسل الزهري في دلائل البيهقي [**كيف أقزأ؟**] ، وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

قلت : أرجح أنها في المرة الأولى نافية ، لعدم المعرفة بالقراءة ، وفي الثانية استفهامية ، يراد بها استبانة ما يقرؤه ، والمعنى أخبرني أي شيء أقرأ؟ ، وذلك لمجيء العبارة بصيغة الاستفهام [**ماذا أقرأ؟**] ، وفي الثالثة استفهامية - أيضاً - بمعنى كيف ، فهي استخبار عن الحالة التي يكون بها قارئاً ، وهو الأمي الذي لم يباشر القراءة قط في حياته ، وذلك لمجيء العبارة بالاستفهام الصريح [**كيف أقرأ؟**] ، وبهذا يتم الجمع بين الروايات والأقوال .

---

(١) المرجع السابق : ٢٤ .

(٢) شرح الزرقاني : ١ : ٢١١ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٣ .

(٣) فتح الباري : ١ : ٢٤ .

فغطّني حتى بلغ مني الجهد:

فغطّني ـ بالغين المعجمة والطاء المهملة ـ ، وفي رواية الطبري : فغتّني[1] ـ بتاء مثناة من فوق ـ : قال ابن الأثير[2] : هما سواء ، كأنه أراد عصرني عصراً شديداً ، حتى وجدت منه المشقة .

قال ابن حجر[3] : كأنه أراد ضمني وعصرني ، والغط : حبس النفس ، ومنه غطه في الماء ، أو أراد غمني ، ومنه الخنق ، ولأبي داود الطيالسي في مسنده بسند حسن [**فأخذ بحلقي**] .

قال النووي[4] : قال العلماء : والحكمة في الغط شغله من الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثاً ، مبالغة في التنبيه .

والجُهدُ ـ بفتح الجيم وضمها ونصب الدال ورفعها ـ : قال الكرماني[5] : ومعناه الطاقة والغاية والمشقة ، فعلى الرفع معناه بلغ الجهد مبلغه ، فحذف مبلغه ، وعلى النصب معناه بلغ الملك مني الجهد ، والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقول له ، وكرره ثلاثاً مبالغة في التثبّت ، وفيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم والإحضار بمجامع قلبه .

قال التوربشتي : لا أرى الذي يروي بنصب الدال إلا قد وهم فيه ، أو جوزه بطريق الاحتمال ، فإنه إذا نصب الدال عاد المعنى إلى أنه غطه حتى استفرغ قوته في ضغطته ، وجهده جهده ، بحيث لم يبق فيه مزيد ، وهذا قول غير سديد ، فإن البنية البشرية لا تستدعي استنفاذ القوة الملكية ، لاسيما في مبدإ الأمر ، وقد دلت القصة على أنه اشمأز من ذلك ، وتداخله الرعب .

---

(١) تاريخ الطبري : ١ : ٥٣٢ .
(٢) النهاية (غَتت ، وغطط) .
(٣) فتح الباري : ١ : ٢٤ .
(٤) مسلم بشرح النووي : ٢ : ١٩٩ .
(٥) الكواكب الدراري : ١ : ٣٤ .

وقال الطيبي : لاشك أن جبريل في حالة الضغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى ، وعندما رآه مستوياً على الكرسي ، فيكون استفراغ جهده لا بحسب صورته التي تجلى له بها وغطه ، وإذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد .

قلت : لم يذكر الجهد في الرواية التي معناها في المرة الثالثة ، لكنه ورد عند البخاري في التفسير(١) .

قال العراقي(٢) : يجوز في الدال النصب والرفع ، فالأول على أن فاعل [بلغ] ضمير يعود على جبريل ، أي بلغ جبريل مني الجهد ، والثاني على أن الجهد فاعل ، أي بلغ الجهد مني مبلغه وغايته .

قال النووي(٣) : وممن ذكر الوجهين في نصب الدال ورفعها صاحب التحرير وغيره .

يرجف فؤاده :

قال العيني : أي يخفق ويضطرب ، والرجفان : شدة الحركة والاضطراب ، وفي المحكم : رجف الشيء يرجف رجفاً ، ورجفانا ، ورجيفاً ، وأرجف : خفق واضطرب اضطراباً شديداً ، والفؤاد : هو القلب ، وقيل : إنه عين القلب ، وقيل : باطن القلب ، وقيل : غشاء القلب ، وسمي القلب قلباً لتقلبه(٤) .

وقال القسطلاني : فؤاده : قلبه أو باطنه أو غشاؤه ، لما فجأه من الأمر المخالف للعادة والمألوف ، فنفر طبعه البشري وهاله ذلك ، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحالة ، لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها(٥) .

---

(١) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .

(٢) طرح التثريب : ٤ : ١٨٨ .

(٣) مسلم بشرح النووي : ٢ : ١٩٩ .

(٤) عمدة القاري : ١ : ٥٠ .

(٥) إرشاد الساري : ١ : ٦٤ .

وفي رواية [ترجف بَوادره][1] ـ بفتح الباء الموحدة وكسر الدال بعدها راء مهملة ـ : جمع بادرة ، وهي اللحمة بين المنكب والعنق ، تضطرب عند فزع الإنسان ، قاله أبو عبيد وسائر أهل اللغة والغريب .

قال العراقي[2] : ولا تنافي بين الروايتين ، فكأن الرجفان في البوادر والفؤاد ، ولعل رجفان الفؤاد ملازم لرجفان البوادر .

قال النووي : وعلم خديجة برجفان فؤاده ، والظاهر أنها رأته حقيقة ، ويجوز أنها لم تره وعلمته بقرائن وصور الحال .

زمِّلوني زمِّلوني :

التزميل : التلفيف ، والتزمل : الاشتمال والتلفف ، ومنه التدثر ، ويقال لكل ما يلقى على الثوب الذي يلي الجسد دثار ، وأصل المزمّل والمدّثر المتزمّل والمتدثر ، أدغمت التاء فيما بعدها[3] ، قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الأمر ، والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف[4] .

الرّوع :

الرَّوع ـ بفتح الراء ـ : الفزع ، وفي المحكم : الروع والرواع والتروع : الفزع ، وقال الهروي : هو بالضم موضع الفزع من القلب[5] .

كلاّ :

كلاّ ـ بفتح الكاف وتشديد اللام مقصور ـ : نفي وإبعاد ، أي لا تقل ذلك ،

---

(1) البخاري (٤٩٥٣) ، ومسلم (١٦٠) .
(2) طرح التثريب : ٤ : ١٩٠ .
(3) عمدة القاري : ١ : ٥٠ .
(4) شرح الزرقاني : ١ : ٢١٢ .
(5) عمدة القاري : ١ : ٥٠ .

أو لا خوف عليك[١] ، والمراد ها هنا التنزيه عنه ، وهو أحد معانيها ، وقد تأتي بمعنى حقاً ، أو بمعنى ألا التي للتنبيه ، يستفتح بها الكلام ، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة ، في خمس عشرة سورة ، ليس في النصف الأول من ذلك شيء .

قال العماني : وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جبابرة ، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول ، وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلّتهم وضعفهم .

وقد اهتم العلماء والنحويون بها قديماً ، وأكثروا فيها القول ، وتعددت مذاهبهم ، وقد جاءت على أقسام جمعها ابن الأنباري في باب من كتاب الوقف والابتداء له ، وهي مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية ، قال : وإنما شددت لامها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين ، وعند غيره هي بسيطة ، وعند سيبويه ، والخليل ، والمبرد ، والزجاج ، وأكثر البصريين حرف معناه الردع والزجر ، لا معنى لها عندهم إلا ذلك . قالوا : وقد تكون حرف جواب بمنزلة أي ونعم[٢] .

ما يخزيك الله أبداً :

ما يُخزيك ـ بضم الياء وبالخاء المعجمة ـ : من الخزي ، وهو الفضيحة والهوان .

قال النووي : وقال معمر في رواية [يُحزنك] بالحاء المهملة والنون ، ويجوز فتح الياء في أوله وضمها ، وكلاهما صحيح ، من الحزن ، حزنه ، حزنه وأحزنه ثلاثي ورباعي ، يقال : حزنه وأحزنه : أوقعه في بلية ، وأبداً منصوب على الظرف .

---

(١) فتح الباري : ١ : ٢٤ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٤ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٢ ، والكواكب الدراري : ١ : ٣٦ ، ومسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠١ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٩١ .

(٢) عمدة القاري : ١ : ٥٠ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن : ١ : ١٩٦ـ١٩٧ ، وانظر : شرح كلاّ وبلى ونعم : ٧ وما بعدها .

قال ابن حجر : ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرائي وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب ، أو إلى الأجانب ، وإما بالبدن ، أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره ، أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به(١) .

وتحمل الكَلّ:

الكَلّ ـ بفتح الكاف وتشديد اللام ـ : الثقل ، وهو من الكلال الذي هو الإعياء(٢) ، أي يرفع الثقل ، أي يعين الضعيف المنقطع به ، والكَلُّ : من لا يستقل بأمره ، قال الله :

﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ ﴾ . (آية ٧٦ سورة النحل) .

وتكسب المعدوم:

تَكسب ـ بفتح التاء ـ : هو المشهور ، وروي بضمها ، ومعنى المضموم تكسب غيركَ المال المعدوم ، أي تعطيه المال المعدوم ، فحذف أحد المفعولين ، وقيل : تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الأخلاق ، وأما المفتوح فقيل معناه كمعنى المضموم ، يقال : كسبت الرجل مالاً ، وأكسبته مالاً ، واتفقوا على أن أكسبته مالاً أفصح ، وقيل : معناه تكسب المال المعدوم ، وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله ، وكانت العرب تتمادح بكسب المال ، لاسيما قريش ، وكان النبي ﷺ قبل البعثة محظوظاً في التجارة ، وقال النووي : هذا ضعيف ، لأنه لا معنى لهذا القول في هذا الموطن ، إلا أن يصحح بأن يضم إليه زيادة ، وهو أنه كان يجود به ، وينفقه في وجوه المكرمات ، وقيل : المعدوم : عبارة عن الرجل المعدوم العاجز عن

---

(١) الكواكب الدراري : ١ : ٣٦ ، ومسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠١ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٩١ـ ١٩٢ ، وفتح الباري : ١ : ٢٤ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٤ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٢ .

(٢) الكواكب الدراري : ١ : ٣٦ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٩٢ ، وفتح الباري : ١ : ٢٤ ، وانظر : مشارق الأنوار (كلل) .

الكسب ، وسماه معدوماً لكونه كالمعدوم الميت ، حيث لم يتصرف في المعيشة ، أي تسعى في طلب عاجز لتعيشه ، والكسب : هو الاستفادة ، فكما يرغب غيرك أن يستفيد ما لا ترغب أنت أن تستفيد عاجزاً تعاونه . وقال الخطابي صوابه المعدم بحذف الواو ، لأن المعدوم لا يدخل تحت الانفعال ، تريد أنك تعطي المال الفقير الذي لا يجد المال(١) .

وتعين على نوائب الحق:

النوائب : جمع نائبة : وهي الحادثة خيراً أو شراً ، وتكون في الحق والباطل ، ولذلك أضافتها إلى الحق ، وفي هذا إشارة إلى فضل خديجة رضي الله عنها ، وجزالة رأيها ، وهذه الخصلة جامعة لأفراد ما سبق وغيره(٢) .

فانطلقت به:

أي انطلقا إلى ورقة(٣) ، لأن الفعل اللازم إذا عدّي بالباء يلزم فيه المصاحبة ، فيلزم ذهابهما ، بخلاف ما عدي بالهمزة ، نحو أذهبته ، فإنه لا يلزم ذلك .

ابنَ عم خديجة:

قال النووي : هو بنصب [ابنَ] ويكتب بالألف ، على أنه بدل من ورقة ، فإنه ابن عم خديجة ، لأنها بنت خويلد بن أسد ، وهو ورقة بن نوفل بن أسد ، ولا يجوز جر ابن ولا كتابته بغير الألف ، لأنه يصير صفة لعبد العزّى ، فيكون عبدالعزّى بن عم خديجة ، وهو باطل ، قال الكرماني : وأقول : كتابة الألف وعدمه لا يتعلق بكونه متعلقاً بورقة أو بعبد العزّى ، بل علة إثبات الألف عدم

---

(١) الكواكب الدراري : ١ : ٣٦-٣٧ ، وانظر : مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠١ ، وعمدة القاري : ١ : ٥١ ، وفتح الباري : ١ : ٢٤-٢٥ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٤ .

(٢) إرشاد الساري : ١ : ٦٥ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٣ .

(٣) الكواكب الدراري : ١ : ٣٧ ، وانظر : فتح الباري : ١ : ٢٥ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٥ .

وقوعه بين علمين ، لأن العم ليس علماً ، ثم الحكم بكونه بدلاً غير لازم ، لجواز أن يكون صفة أو بياناً له(١) .

الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية :

وفي رواية للشيخين :[**وكان يكتب الكتاب العربيّ ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب**](٢) .

وقد رجح الزركشي رواية الشيخين لاتفاقهما(٣) ، وجمع النووي فقال : وكلاهما صحيح ، وحاصلهما أنه تمكن من معرفة دين النصارى ، بحيث إنه صار يتصرف في الإنجيل فيكتب أي موضع شاء منه بالعبرانية إن شاء ، وبالعربية إن شاء(٤) .

ونقله ابن حجر وقال : قال الداودي : كتب من الإنجيل الذي هو بالعبرانية هذا الكتاب الذي هو بالعربي(٥) .

وقال : لأن ورقة تعلم اللسان العبراني ، والكتابة العبرانية ، فكان يكتب الكتاب العبراني ، كما يكتب الكتاب العربي ، لتمكنه من الكتابين واللسانين(٦) .

وقال الكرماني بعد أن ذكر قول النووي : ويفهم منه أن الإنجيل ليس عبرانياً ، وهو المشهور(٧) .

---

(١) الكواكب الدراري : ١ :٣٧ـ٣٨ ، وانظر : فتح الباري : ١ : ٢٥ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٥ .
(٢) البخاري : ٦٥ـالتفسير (٤٩٥٣) ، ومسلم (١٦٠) .
(٣) شرح الزرقاني : ١ : ٢١٤ .
(٤) مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٣ .
(٥) فتح الباري : ٨ : ٧٢٠ ط الرياض .
(٦) المرجع السابق : ١ : ٢٥ .
(٧) الكواكب الدراري : ١ : ٣٨ ، وانظر : عمدة القاري : ١ : ٥١ـ٥٢ .

قال ابن حجر : وإنما وصفته بكتابة الإنجيل دون حفظه ، لأن حفظ التوراة والإنجيل لم يكن متيسراً كتيسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الأمة[1] .

يا ابن عم:

قال ابن حجر : قولها [**يا ابن عم**] هذا النداء على حقيقته ، ووقع في مسلم [**يا عم**] وهو وهم ! ، لأنه وإن كان صحيحاً لجواز إرادة التوقير ، لكن القصة لم تتعدد ، ومخرجها متحد ، فلا يحمل على أنها قالت ذلك مرتين ، فتعيّن الحمل على الحقيقة[2] .

قلت : بل جاء في رواية للبخاري [**يا عم**][3] ، ولمسلم [**أي عم**][4] .

وكلاهما صحيح . أما الأول فلأنه ابن عمها حقيقة ـ كما سبق ـ ، وأما الثاني فقد قال النووي[5] : سمته عماً مجازاً للاحترام ، وهذه عادة العرب في آداب خطابهم ، يخاطب الصغير الكبير بياعم احتراماً له ، ورفعاً لمرتبته ، ولا يحصل هذا الغرض بقولها [**يا ابن عم**] .

قال العراقي[6] : فعلى هذا تكون تكلمت باللفظين .

اسمع من ابن أخيك:

تعني النبي ﷺ ، لأن الأب الثالث لورقة ، وهو عبدالعزى ، هو الأخ للأب الرابع لرسول الله ﷺ ، وهو عبد مناف ، كأنها قالت من ابن أخي جدك ، فهو مجاز بالحذف ، قال الحافظ : لأن والده عبد الله بن عبد المطلب ، وورقة ، في عدد النسب

---

(١) فتح الباري : ١ : ٢٥ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .
(٤) مسلم : ١ ـ الإيمان (١٦٠) .
(٥) مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٣ .
(٦) طرح التثريب : ٤ : ١٩٤ .

إلى قصي بن كلاب ، الذي يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية في درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوقير لسنه ، وفي إرشاد إلى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه إلى المسؤول ، وذلك مستفاد من قول خديجة رضي الله عنها ، أرادت بذلك أن يتأهب لسماع كلام النبي ﷺ ، وذلك أبلغ في التعظيم(١) .

الناموس الذي نزّل الله على موسى :

قال البخاري : الناموس : صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره(٢) .

قال ابن حجر(٣) : وزعم ابن ظفر أن الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر ، والأول الصحيح الذي عليه الجمهور ، وقد سوى بينهما رؤبة بن الحجاج أحد فصحاء العرب(٤) .

والمراد بالناموس هنا جبريل عليه السلام .

وقوله : [**على موسى**] ، ولم يقل على عيسى ، مع كونه نصرانياً ، لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام ، بخلاف عيسى ، وكذلك النبي ﷺ .

أو لأن موسى بُعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى ، كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة ، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر .

أو قاله تحقيقاً للرسالة ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب ، بخلاف عيسى فإن كثيراً من اليهود ينكرون نبوته .

---

(١) الكواكب الدراري : ١ : ٣٨ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٤ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٥ ، وفتح الباري : ١ : ٢٥ في الأصل (أبلغ في التعليم) وفي الهامش (في التعظيم) .
(٢) البخاري : ٦٠ ـ أحاديث الأنبياء (٣٣٩٢) .
(٣) فتح الباري : ١ : ٢٦ .
(٤) انظر : عمدة القاري : ١ : ٥٢ ـ ٥٣ ففيه تفصيل .

وأما ما تمحّل له السهيلي[١] من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ، ودعواهم أنه أحد الأقانيم فهو محال لا يعرّج عليه في حق ورقة وأشباهه ، ممن لم يدخل في التبديل ، ولم يأخذ عمن بدل ، على أنه قد ورد عند الزبير بن بكار من طريق عبدالله بن معاذ عن الزهري في هذه القصة أن ورقة قال : ناموس عيسى ، والأصح ما تقدم ، وعبد الله بن معاذ ضعيف .

نعم في دلائل النبوة لأبي نعيم بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه في هذه القصة أن خديجة أولاً أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال : [**لئن كنت صدقتني إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم**] فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس عيسى ، وتارة ناموس موسى ، فعند إخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى ، بحسب ما هو فيه من النصرانية ، وعند إخبار النبي ﷺ له قال له ناموس موسى ، للمناسبة التي قدمناها ، وكل صحيح[٢] .

يا ليتني فيها جذعاً :

لابن مالك كلام في [**يا**] التي تليها [**ليت**] أقرب ما يكون إلى الدراسة النحوية ، فليراجعه من شاء[٣] ، حتى لا نخرج عن موضوع حديثنا .

قال القسطلاني : [**يا ليتني فيها**] أي في مدة النبوة ، أو الدعوة ، وجعل أبو البقاء المنادى محذوفاً ، أي يا محمد ، وتعقّب بأن قائل [**ليتني**] قد يكون وحده ، فلا يكون معه منادى ، كقول مريم :

﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا ﴾ . (آية ٢٣ سورة مريم) .

---

(١) انظر : الروض الأنف : ١ : ٢٧٣ .

(٢) انظر : الكواكب الدراري : ١ : ٣٨ ـ ٣٩ ، وإرشاد الساري : ١ : ٦٥ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٤ ـ ٢١٥ ، ومسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٣ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٩٤ .

(٣) انظر : شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : ٤ وما بعدها ، وعمدة القاري : ١ : ٥٨ .

وأجيب بأنه قد يجوز أن يجرد من نفسه نفساً فيخاطبها ، كأن مريم قالت : يا نفسى ليتني مت .

وتقديره هنا : ليتني أكون في أيام الدعوة .

و [جَذَعاً] ـ بفتح الجيم والمعجمة وبالنصب ـ : خبر كان مقدرة عند الكوفيين ، أو على الحال من الضمير المستكن في خبر ليت ، وخبر ليت قوله [فيها] ، أي ليتني كائن فيها حال الشبيبة والقوة لأنصرك ، أو على أن ليت تنصب الجزأين ، أو بفعل محذوف ، أي جعلت فيها جذعاً .

وللأصيلي ولأبي ذر عن الحموي [جذعٌ] بالرفع ، خبر ليت ، وحينئذ فالجار يتعلق بما فيه من معنى الفعل ، كأنه قال يا ليتني شاب فيها ، والرواية الأولى أكثر وأشهر .

والجذع هو الصغير من البهائم ، واستعير للإنسان ، أي يا ليتني كنت شاباً عند ظهور نبوتك ، حتى أقوى على المبالغة في نصرتك(١) .

قال ابن حجر : كأنه تمنى أن يكون عند ظهور الدعاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيراً أعمى .

وفيه دليل على جواز تمني المستحيل إذا كان في فعل خير ، لأن ورقة تمنى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة ، ويظهر لي أن التمني ليس مقصوداً على بابه ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به ، والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به(٢) .

إذ يخرجك قومك:

قال ابن مالك(٣) : فيه استعمال إذ في المستقبل كإذا ، وهو صحيح ، وغفل عنه أكثر النحاة ، وهو كقوله تعالى :

---

(١) إرشاد الساري : ١ : ٦٥ ـ ٦٦ ، وانظر : شرح الزرقاني : ١ : ٢١٥ ، ومسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) فتح الباري : ١ : ٢٦ .

(٣) انظر : شواهد التوضيح والتصحيح : ٩ وما بعدها .

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ .

(آية ٣٩ سورة مريم) .

قال ابن حجر : هكذا ذكره ابن مالك ، وأقره عليه غير واحد ، وتعقبه شيخنا شيخ الإسلام بأن النحاة لم يغفلوه ، بل منعوا وروده ، وأولوا ما ظاهره ذلك ، وقالوا في مثل هذا : استعمل الصيغة الدالة على المضي لتحقق وقوعه فأنزلوه منزلته ، ويقوي ذلك هنا أن في رواية البخاري [**حين يخرجك قومك**](١) ، وعند التحقيق ما ادعاه ابن مالك فيه ارتكاب مجاز ، وما ذكره غيره فيه ارتكاب مجاز ، ومجازهم أولى ، لما ينبني عليه من أن إيقاع المستقبل في صورة المضي تحقيقاً لوقوعه ، أو استحضاراً للصورة الآتية في هذه دون تلك ، مع وجوده في أفصح الكلام ، وكأنه أراد بمنع الورود وروداً محمولاً على حقيقة الحال ، لا على تأويل الاستقبال(٢) .

أو مُخرجيّ هم؟ :

بتشديد الياء مفتوحة : قال القسطلاني(٣) : لأن أصله مخرجوني ، جمع مخرج ، من الإخراج ، فحذفت نون الجمع للإضافة إلى ياء المتكلم ، فاجتمعت ياء المتكلم وواو علامة الرفع ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فأبدلت الواو ياء ، وأدغمت ، ثم أبدلت الضمة التي كانت سابقة الواو كسرة ، وفتحت ياء مخرجيّ تخفيفاً ، وهم مبتدأ خبره مخرجيّ مقدماً ، ولا يجوز العكس ، لأنه يلزم منه الإخبار بالمعرفة عن النكرة ، لأن إضافة مخرجيّ غير محضة ، لأنها لفظية ، لأنه اسم فاعل بمعنى الاستقبال ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، لأنه استبعد إخراجه عن الوطن ، لاسيما حرم الله ، وبلد أبيه إسماعيل ، من غير سبب يقتضي ذلك ، فإنه ﷺ كان جامعاً لأنواع المحاسن المقتضية لإكرامه ، وإنزاله منهم محل الروح من الجسد .

---

(١) البخاري : ٩١ ـ التعبير (٦٩٨٢) .

(٢) فتح الباري : ١ : ٢٦ .

(٣) إرشاد الساري : ١ : ٦٦ ، وانظر : الكواكب الدراري : ١ : ٣٩ ـ ٤٠ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٥ ، وفتح الباري : ١ : ٢٦ ، وطرح التثريب : ٤ : ١٩٦ ، وعمدة القاري : ١ : ٢٩ ، ومسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٤ ، وشواهد التوضيح والتصحيح : ١٣ .

فإن قلت : الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف ، نحو :

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

(آية ٩٥ سورة الأنعام ، و ٣٤ سورة يونس ، و ٣ سورة فاطر ، و ٦٢ سورة غافر) .

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . (آية ٢٦ سورة التكوير) .

وحينئذ ينبغي أن يقول هنا« **وأمخرجيَّ** » لأن العاطف لايتقدم عليه جـزء مما عطف .

أجيب بأن الهمزة خصت بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أصالتها في أدوات الاستفهام ، وهوله الصدر ، نحو :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا ﴾ . (آية ١٨٥ سورة الأعراف) .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ . (آية ٨٢ سورة غافر ، و ١٠ سورة محمد) .

هذا مذهب سيبويه والجمهور ، وقال جار الله وجماعة : إن الهمزة في محلها الأصلي ، وإن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف ، والتقدير «**أمعاديّ هم ومخرجيّ هم**» ، وإذا دعت الحاجة لمثل هذا التقدير فلا يستنكر .

فإن قلت : كيف عطف قوله [**أومخرجيّ هم؟**] وهو إنشاء ، على قول ورقة [**إذ يخرجك قومك**] وهو خبر ، وعطف الإنشاء على الخبر لا يجوز ، وأيضاً فهو عطف جملة على جملة ، والمتكلم مختلف؟

أجيب بأن القول بأن عطف الإنشاء على الخبر لا يجوز ، إنما هو رأي أهل البيان ، والأصح عند أهل العربية جوازه ، وأما أهل البيان فيقدرون في مثل ذلك جملة بيْن الهمزة والواو ، وهي المعطوف عليها ، فالتركيب سائغ عند الفريقين ، أما المجوزون لعطف الإنشاء على الخبر فواضح ، وأما المانعون فعلى التقدير المذكور ، وقال بعضهم : يصح أن تكون جملة الاستفهام معطوفة على جملة التمنّي في قوله [**ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك**] بل هذا هو الظاهر ، فيكون المعطوف عليه

أول الجملة لآخرها الذي هو ظرف متعلق بها ، والتمنيّ إنشاء ، فهو من عطف الإنشاء على الإنشاء ، وأما العطف على جملة في كلام الغير فسائغ معروف في القرآن العظيم ، والكلام الفصيح ، قال تعالى :

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ ﴾ .

(آية ١٢٤ سورة البقرة) .

نعم لم يأت رجل قطّ بمثل ما جئت به إلا عودي :

قال العراقي : قول ورقة [نعم] يحتمل أن يكون علمه من كتب أهل الكتاب وعلمائهم فقاله بنقل ، ويحتمل أن يكون قاله باستقراء وتجربة .

فعلى الأول قوله **[لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي]** خرج مخرج التسلية له ، وأن هذا شأن الأنبياء قبلك ، أذى قومهم لهم ، وصبرهم على ذلك .

وعلى الثاني يكون هذا الكلام خرج مخرج الدليل والاستشهاد بصحة ما قاله(١) .

و [**قطُّ**] ـ بفتح القاف وشد الطاء مضمومة ـ في أفصح اللغات ظرف لاستغراق الماضي فتختص بالنفي بما ، وفي رواية للبخاري [**إلا أوذي**](٢) ، فذكر ورقة أن علة ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه ، وأنه يلزم ذلك منابذتهم ومعاندتهم ، فتنشأ العداوة من ثم ، وفيه دليل على أن المجيب يقيم الدليل على ما يجيب به إذا اقتضاه المقام(٣) .

---

(١) طرح التثريب : ٤ : ١٩٦ .

(٢) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .

(٣) فتح الباري : ١ : ٢٦ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٥ .

وإن يدركْني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً :

[وإن يدركْني] بالجزم بإن الشرطية ، و[يومك] فاعل ، أي يوم انتشار نبوتك ، وفي رواية للبخاري [وإن يدركني يومك حياً][1] ، و [أنصرْك] جواب الشرط ، و[نصراً] بالنصب على المصدرية ، و[مؤزّراً] ـ بضم الميم وفتح الزاي المشددة آخره راء مهملة مهموزاً ـ أي قوياً بليغاً ، وهو صفة لـ [نصراً] ، وإنكار القزاز الهمز لغة رد بقول الجوهري : أزرت فلاناً : عاونته ، والعامة تقول : وازرته ، وقال أبو شامة : يحتمل أنه من الإزار ، إشارة إلى تشميره في نصرته[2] .

ولما كان ورقة سابقاً واليوم متأخراً أسند الإدراك لليوم ، لأن المتأخر هو الذي يدرك السابق ، وهذا ظاهره أنه أقر بنبوة محمد ﷺ ، ولكنه مات قبل الدعوة إلى الإسلام ، فيكون مثل بحيرى[3] ، وفي إثبات الصحبة له نظر[4] .

لم ينشب ورقة أن توفّي :

ينشَب ـ بفتح الشين ـ قال عياض : أي لم يمكث ولم يحدث شيئاً ، حتى كان ما ذكر ، وأصله من الحبس ، وقاله ابن الأثير : لم ينشب : أي لم يلبث[5] .

قال ابن حجر : وأصل النشوب : التعلق ، أي لم يتعلق بشيء من الأمور حتى مات[6] .

---

(١) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٣) .

(٢) إرشاد الساري : ١ : ٦٧ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، وانظر : فتح الباري : ١ : ٢٧ ، ومشارق الأنوار (أزر) .

(٣) انظر قصة بحيرى في الترمذي (٣٦٢٠) ، وتحفة الأحوذي (٣٨٦٣) ، وعيون الأثر : ١ : ٤٠ ، والسيرة النبوية : ابن كثير : ١ : ٢٤٣ ، والطبقات الكبرى : ١ : ١٥٠ ، والروض الأنف : ١ : ٢٠٦ ، وشرح المواهب : ١ : ١٩٣ ، والإصابة : ١ : ١٨٣ ، والدلائل : أبو نعيم : ١ : ٢١٧ (١٠٩) ، والدلائل : الأصبهاني : ٢ : ٢٤ ، والسيرة النبوية : ابن هشام : ١ : ٢٣٦ ، والجامع الصحيح للسيرة النبوية : ١ : ٣٧١ وما بعدها .

(٤) إرشاد الساري : ١ : ٦٧ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٥ ـ ٢١٦ ، وفتح الباري : ٨ : ٧٢١ ، والإصابة : ٦ : ٣١٧ ـ ٣١٨ (٩١٣٢) .

(٥) مشارق الأنوار ، والنهاية (نشب) . .

(٦) فتح الباري : ١ : ٢٧ ، وانظر : شرح الزرقاني : ١ : ٢١٦ .

وفتر الوحي :

قال عياض : معناه : سكن وأغب نزوله وتتابعه .

وقال ابن حجر : فتور الوحي عبارة عن تأخره مدة من الزمان ، وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع ، وليحصل له التشوق إلى العود(١) .

وقد اختلف العلماء في مدة الفترة التي انقطع فيها ، قال ابن حجر(٢) :

وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين ، وبه جزم ابن إسحاق ، وحكى البيهقي أن مدة الرؤيا كانت ستة أشهر ، وعلى هذا فابتداء النبوة بالرؤيا وقع من شهر مولده ، وهو ربيع الأول ، بعد إكماله أربعين سنة ، وابتداء وحي اليقظة وقع في رمضان ، وليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين وهي ما بين نزول ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ و ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ عدم مجيء جبريل إليه ، بل تأخر نزول القرآن فقط .

ثم راجعت المنقول عن الشعبي من تاريخ الإمام أحمد ، ولفظه من طريق داود ابن أبي هند عن الشعبي :

أنزلت عليه النبوة ، وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل ، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة .

وأخرجه ابن أبي خيثمة من وجه آخر مختصراً عن داود بلفظ : بعث لأربعين ، ووكل به إسرافيل ثلاث سنين ، ثم وكل به جبريل .

فعلى هذا فيحسن ـ بهذا المرسل إن ثبت ـ الجمع بين القولين في قدر إقامته بمكة بعد البعثة ، فقد قيل ثلاث عشرة ، وقيل عشر ، ولا يتعلق ذلك بقدر مدة الفترة .

---

(١) مشارق الأنوار (فتر) ، وفتح الباري : ١ : ٢٧ .

(٢) فتح الباري : ١ : ٢٧ .

وقد حكى ابن التين هذه القصة ، لكن وقع عنده ميكائيل بدل إسرافيل .

وأنكر الواقدي هذه الرواية المرسلة ، وقال : لم يقترن به من الملائكة إلا جبريل .

ولا يخفى ما فيه ، فإن المثبت مقدم على النافي ، إلا إن صحب النافي دليل نفيه فيقدم .

وأخذ السهيلي هذه الرواية فجمع بها المختلف في مكثه ﷺ بمكة ، فإنه قال[1] :

جاء في بعض الروايات المسندة أن مدة الفترة سنتان ونصف ، وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر ، فمن قال مكث عشر سنين حذف مدة الرؤيا والفترة ، ومن قال ثلاث عشرة أضافهما .

وهذا الذي اعتمده السهيلي من الاحتجاج بمرسل الشعبي لا يثبت ، وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة المذكورة كانت أياماً[2] .

وجاء في شرح المواهب : قول الشعبي معارض بما روي عن ابن عباس أن الفترة المذكورة كانت أياماً ، فلا يحتج بمرسله ، لاسيما مع ما عارضه ، فلم تكن الفترة إلا أياماً ، وفي تفسير ابن عباس أنها كانت أربعين يوماً ، وفي تفسير ابن الجوزي ، ومعاني الزجاج خمسة عشر ، وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام ، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه ، لا ما ذكره السهيلي وجنح لصحته[3] .

قال ابن حجر : والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإن تلك دامت أياماً ، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً فاختلطتا على بعض الرواة ، وتحرير الأمر في ذلك على ما بينته[4] .

* * *

---

(١) انظر : الروض الآنف : ١ : ٢٨١ .

(٢) انظر : فتح الباري : ١٢ : ٣٦٠ ط الرياض ، والطبقات الكبرى : ١ : ١٩٦ .

(٣) شرح المواهب : ١ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) فتح الباري : ٨ : ٧١٠ .

الفصل الثاني
أضواء على الأقوال في المراد بالخشية

سبق أن عرفنا أن الرسول ﷺ قال :

[لقد خشيت على نفسي] .

من غير ذكر سبب لخشيته ﷺ على نفسه ، ودواعي تلك الخشية .

وهو ﷺ على هذا الحال ، قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها - مستلهمة سلامة فطرتها ، ورجاحة عقلها ، ومعرفتها بسنن وقائع الحياة ، وما هو عليه ﷺ منذ عرف الحياة ، وعرفه الناس ، من رصيد المكارم - : تلك الكلمات النورانية الواردة في الحديث ، والتي هي عنوان التكامل المحمدي الذي ينبع من فطرته ، والذي هو معجزة الحياة في سلوك الإنسان ! !

الأقوال في المراد بالخشية :

جاء في رواية لأبي ذر عن الحموي ، والمستملي [خشيتِ عليَّ] بتشديد ياء عليّ (١) .

وهذا - كما يقول الشيخ عرجون (٢) - : يكاد يوجب اتجاه الفهم إلى أن هذا خطاب استفهامي ، حذف منه حرف الاستفهام ، يوجهه النبي ﷺ إلى السيدة خديجة ، إنكاراً تعجبياً لحالها في قلقها ولهفتها على أوبته في موعده الذي ألفت عودته فيه في أوباته كلها من جواره إلى بيته وأهله ، ليتزود لعودته إلى جواره .

---

(١) إرشاد الساري : ١٠ : ١٢٠ ، وفتح الباري : ١٢ : ٣٧٥ ط الريان ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٢ ، وانظر : صحيح البخاري : ٩ : ٣٨ تقديم أحمد شاكر .

(٢) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٧٢ .

فإنه لم يعهد في أساليب العربية أن يقول الإنسان معبراً عما حدث له ، وما يخشاه على نفسه ، وهو يخاطب غيره «خشيتُ عليّ» وإنما المعهود في أساليب الفصحى أن التعبير يكون في أسلوب الاستفهام عما في نفس المخاطب ، بالنسبة للمتكلم بعبارة [خَشيت عليّ] بحذف همزة الاستفهام ، وهو حذف سائغ كثير الورود في أصح النصوص العربية الفصيحة .

قلت : ومع ذلك فالرواية التي معنا صريحة في عدم تشديد الياء ، ومن ثم تدفعنا منهجية البحث إلى ذكر أقوال العلماء في المراد بالخشية .

قال ابن حجر : والخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً :

أولها : الجنون ، وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة ، جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى .

ثانيها : الهاجس ، وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وهذا استقر ، وحصلت بينهما المراجعة .

ثالثها : الموت من شدة الرعب .

رابعها : المرض ، وقد جزم به ابن أبي جمرة[١] .

خامسها : دوام المرض .

سادسها : العجز عن حمل أعباء النبوة .

سابعها : العجز عن النظر إلى الملك من الرعب .

---

(١) انظر : بهجة النفوس : ١ : ١٨ .

ثامنهـــا : عدم الصبر على أذى قومـه .

تاسعهـــا : أن يقتلوه .

عاشرهـا : مفارقة الوطن .

حادي عشرها : تكذيبهم إياه .

ثانـــي عشرها : تعييرهـم إياه .

وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب : الثالث ، واللذان بعده ، وما عداها فهو معترض[1] .

أضواء على الأقـوال:

وهنا لابد من وقفة لإبطال ما ينبغي إبطاله من تلك الأقوال :

الأول:

أما عن القـول الأول ، وهو الجنون ، فإنه صريـح في أنه جعل الجنون والكهانة أمراً واحداً ، وقولاً واحداً ، وهما في الواقع أمران ، فالجنون لا يجتمع مع الكهانة في شخص واحد ، في زمن واحد ، وبيان ذلك فيما يلي :

الجنـون:

الجنون مصدر جُنَّ ـ بالبناء للمجهول ـ فهو مجنون : أي زال عقله أو فسد ، أو دخلته الجن ، وجنّ الشيء عليه : ستره ، ويطلق على اختلال القوة بين الأمور الحسنة والقبيحة ، المدركة للعواقب بأن لا يظهر أثرها وتتعطل أفعالها ، إما بالنقصان الذي جبل عليه الدماغ في أصل الخلقة ، وإما بخروج مزاج الدماغ عن الاعتدال ، بسبب خلط أو آفة ، وإما لاستيلاء الشيطان عليه ، وإلقاء الخيالات

(٢) فتح الباري : ١ : ٢٤ .

الفاسدة إليه ، بحيث يفزع من غير ما يصلح سبباً ، كما يطلق على اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهجه إلا نادراً ، واختلال القوة التي بها إدراك الكليات[1] .

الكهانة:

والكهانة تعاطي الخبر عن الكائنات في المستقبل ، وادعاء معرفة الأسرار .

والفرق بين الكاهن والعرّاف : أن الكاهن من يخبر بواسطة النجم عن المغيّبات في المستقبل ، بخلاف العرّاف فإنه الذي يخبر عن المغيّبات الواقعة ، أي في الماضي .

وقيل : الكاهن أعم من العرّاف ، لأن العرّاف يخبر عن الماضي ، والكاهن يخبر عن الماضي والمستقبل[2] .

وعليه فالجنون ذهاب العقل ، واضطراب وتخليط في الفكر والعمل ، والكهانة ليست من قبيل الجنون بحال ، ومعلوم أن الكهان كانوا في الجاهلية محكّمين في أمور الناس وحياتهم .

بيد أن الحافظ ابن حجر ذكر أن القول جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله ابن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى .

ولم يذكر الحافظ ابن حجر مكانة تلك الطرق التي جاءت مصرحة بهذا القول .

---

(١) اللسان ، والصحاح (جنن) ، والتعريفات (جنون) ، والكليات : ٣٤٩ ، وكشاف اصطلاحات الفنون : ١ : ٣٨٠ ط ١٣٨٢هـ ، وابن عابدين : ١ : ٤٢٦ .

(٢) لسان العرب ، والمصباح المنير ، والنهاية (كهن) ، وابن عابدين : ١ : ٣١ ، وشرح روض الطالب : ٤ : ٨٢ .

الخشية عند رؤية التباشير :

وتدفعنا منهجية البحث إلى ذكر ما جاء في الخشية عند رؤية التباشير :

فقد روى أحمد قال : حدثنا أبو كامل ، وحسن بن موسى ، قالا : حدثنا حماد ، قال أخبرنا عمار بن أبي عمار ، قال حسن : عن عمار ، قال حماد : وأظنه عن ابن عباس ، ولم يشك فيه حسن ، قال : قال ابن عباس ، (قاله عبدالله بن أحمد) : قال أبي : وحدثنا عفان ، حدثنا حماد ، عن عمار بن أبي عمار ، مرسل ، ليس فيه «ابن عباس» ، أن النبي ﷺ قال لخديجة ، فذكر عفان الحديث ، وقال أبو كامل وحسن في حديثهما : أن النبي ﷺ قال لخديجة :

[إني أرى ضوءاً ، وأسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنن ، قالت : لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبد الله ! ثم أتت ورقة ابن نوفل ، فذكرت ذلك له ، فقال : إن يك صادقاً فإن هذا ناموس موسى ، فإن بعث وأنا حيّ فسأعززه وأنصره وأومن به] .

رواه الطبراني بنحوه ، وزاد **[وأعينه]** ، وابن سعد ، قال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح[1] .

وروى ابن سعد قال : أخبرنا عفان بن مسلم ، أخبرنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، أن رسول الله ﷺ قال :

[يا خديجة ، إني أرى ضوءاً ، وأسمع صوتاً ، لقد خشيت أن أكون كاهناً ، فقالت : إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبدالله ، إنك تصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وتصل الرحم][2] .

---

(١) أحمد (٢٨٤٦) ، والفتح الرباني : ٢٠ : ٢٠٧ ، قال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، والطبراني في الكبير : ٢٣ : ١٥-١٦ (٢٦) ، والطبقات الكبرى : ١ : ١٩٥ ، ومجمع الزوائد : ٨ : ٢٥٥ .

(٢) الطبقات الكبرى : ١ : ١٩٥ .

هذان الحديثان صريحان في أن الخشية التي شعر بها النبي ﷺ ، وأخبر بها خديجة رضي الله عنها ، كانت عند رؤية التباشير والإرهاصات ، قبل أن يوحى إليه بالرؤيا الصالحة الصادقة ، وهي أول مراتب وحي النبوة ـ كما أسلفنا ـ ، وحيث لم تكن النبوة ، فلا مانع أن يخشى الرسول ﷺ على نفسه من تلك الأمور الغريبة التي يراها ويسمعها ، ولا يرى مصادرها ، وذلك أمر طبيعي بمقتضى الطبيعة البشرية التي كان يعيش بها رسول الله ﷺ في حياته إنساناً مع الناس ، يخالطهم ، وفي الوقت ذاته يحوطه الله تعالى بحفظه ، ويتولاه برعايته(١) .

أما بعد أن نزل عليه الوحي ـ كما عرفنا ـ ، فإن الرسول ﷺ قال : [**لقد خشيت على نفسي**] هكذا مطلقة ، دون بيان لهذه الخشية .

مع أننا نلحظ هنا ـ كما أسلفنا ـ شدة ما كابد من عناء المفاجأة ، وما احتف بها من الغط الجاهد المجهد ، الذي هز بشريته هزاً بالغ الأثر في بدنه ، وتكرار ذلك بأقصى ما تحتمله طاقته البشرية .

وهذا يدعونا إلى تأييد قول الحافظ ابن حجر في هذا القول ، وأبطله أبو بكر ابن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن لا نؤيد ما ذهب إليه الإسماعيلي ، كما سيأتي .

جميع الكفار كانوا يرمون رسلهم بالجنون :

وجميع الكفار كانوا يرمون رسلهم بالجنون ، وقد سجل القرآن الكريم عن قوم نوح عليه السلام أنهم اتهموه بالجنون ، فقالوا بعد قولهم إنه بشر مثلهم يريد أن يتفضل عليهم :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

(آية ٢٥ سورة المؤمنون) .

---

(١) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٨٣ بتصرف .

وعن فرعون لعنه الله في موسى عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

(آية ٢٧ سورة الشعراء).

وبين جل شأنه أن جميع الكفار كانوا يقولون هذا القول في رسلهم ، قال تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

(آية ٥٢ ـ ٥٣ سورة الذاريات) .

وقد تعلق الملاحدة وأعداء الإسلام بهذا القول ، ونبذوا النبي ﷺ بألقاب السوء ، وقالوا : مجنون يصرع ، وتقوّلوا عليه ، ليشككوا في نبوته ورسالته ، مما أوحت به إليهم شياطينهم ، من الكذب ، وقول الزور ، افتراء على الله ورسوله[1] ، وقد رد القرآن الكريم عليهم فريتهم وأكاذيبهم ، بعد أن حكاها عنهم في مواضع متعددة . . قال تعالى :

﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ ﴾ .

(آية ٦ سورة الحجر) .

وقال تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

(آية ٣٦ سورة الصافات) .

وقال تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

(آية ٥١ ، ٥٢ سورة القلم) .

---

(١) انظر : الوحي المحمدي : ٨٧ وما بعدها .

وقال جل شأنه :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

(آية ١٨٤ سورة الأعراف) .

ففي هذه الآية الكريمة تصوير لتجني هؤلاء الفجرة من طغاة الكفرة[1] ، وجهالتهم الضالة ، وأنهم قوم بُهْت ، لا يصدر منهم القول عن نظر وتدبر ، ليعرفوا الحق من الباطل ، وليست لهم بصائر يتفكرون بها في مبادىء الأمور وعواقبها ، وقد أبرزت الآية الكريمة ذلك في أسلوب إنكاري مفعم بالتقريع والتوبيخ لما أهدروه من مدارك عقولهم ، ولدَمغهم بالكذب والبهتان ، والتسجيل عليهم أنهم قالوا قولاً باطلاً ، لو تفكروا فيه ، وتدبروا مداخله ومخارجه ، لعلموا بطلانه بداهة ! !

ذلك أن من به مسّ من الجنون يصرعه ويتخبطه ، لا يمكن أن يصدر عنه كلام في أرفع درجات البلاغة البيانية ، باعتراف غطارفة الفصاحة فيهم ، وهو مع ذلك يحمل في عباراته أجلّ المعاني الإنسانية ، وأسمى الحقائق الكونية ، وأدق النظم الاجتماعية ، وأصدق القضايا العقيدية ، وأزكى الآداب الخلقية ، وأفضل الشرائع التعبدية ، ثم يبقى دهره كله على أرفع سنن الاستقامة ، وزكانة الرأي ، وجودة التفكير ، لا يخالف قولَه فعلُه ، ولا تختلف آدابه وأخلاقه ، يعرف له أعداؤه أمانته وصدق حديثه ، وبره ووفاءه ، وشجاعته ومكارم أخلاقه ! !

وها هو ذا القرآن الحكيم ، الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ من عند الله ، قائم بين أظهركم ، وفي متناول أيديكم وعقولكم ، فاقرأوه وتعمقوا فهمه ، وحاولوا بكل ما أوتيتم من قوة ، وادعوا معكم شهداءكم من شياطين الإنس والجن ، لتستخرجوا معنى متهافتاً يشعر بأن من أتى به بعيد عن استقامة المدارك العقلية ، وقد تحدّاهم القرآن بآياته ، فقال :

---

(١) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٢٨٨ ـ ٢٩٠ بتصرف ، وانظر : تفسير الطبري : ٩ : ١٣٦ ، وتفسير ابن كثير : ٢ : ٢٧٠ ، وتفسير الشوكاني : ٢ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، وتفسير الألوسي : ٥ : ١١٨ ـ ١١٩ ، وتفسير القرطبي : ٧ : ٣٣٠ ، وتفسير المنار : ٩ : ٤٥٣ وما بعدها .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

(آية ٢٤ سورة محمد) .

والتدبّر : طلب المعنى بالقلب والعقل ، وذلك هو ما يسميه منطق الفلسفة بالنظر والتعقّل ، ونتيجته هي العلم واليقين .

وها هو ذا تاريخ محمد ﷺ وأحاديثه وسنته وآدابه وأخلاقه وشريعته تحت أنظاركم ، فانظروا وتفكروا في جوانب ذلك كله ، واستخرجوا منه - ولن تستطيعوا - ما يقيم عوج دعاواكم ، وأود أباطيلكم ، ولكنكم علمتم أن محمداً ﷺ أرسله الله تعالى ليقوض بنيان الكفر والنفاق ، ويهدم صرح الإلحاد ، وينذر الذين لووا رؤوسهم عن قبول الحق بعذاب الله وبأسه ، والذين ينغضون اليوم رؤوسهم جحوداً وعصبية عمياء ببطش الله وعقابه :

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

(آية ١٣ و ١٤ سورة النمل) .

ويقول تبارك وتعالى :

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

(آية ٤٦ سورة سبأ) .

وهذه الآية الكريمة تجري في مَهْيَع الآية السابقة :

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

وتبدأ ببيان مهمة محمد ﷺ في رسالته التي أمر بتحقيقها في الحياة ، فهو مرسل ليعظ الناس أن يقوموا لله الواحد الأحد على قدم العبودية ، بإفراد بالتعبد له وحده ، لا يشركون به شيئاً ، جماعات وأفراداً ، وهذه قضية فطرية من بدائه العقول ، لا تحتاج إلا إلى موقف تذكير وكلمة واعظة ، تحرك القلب إلى اليقظة ، والعقل إلى التنبيه ، فإذا استيقظ القلب ، وتنبه العقل ، وعادت الفطرة إلى استقامتها في توحيد الله فانظروا حينئذ في شأن محمد ﷺ ورسالته ، نظر تدبر وتفكر ، لتصلوا بهذا التدبر إلى العلم الذي لا يداخله شك ، ويتجلّى لكم أن محمداً ﷺ أصح الناس عقلاً ، وأصدقهم حديثاً ، وأهداهم هدى ، وأرشدهم رشداً ، أليس بين أيديكم ما جاء به من شرائع وآداب ، ونظم وأخلاق؟ !

فهل تجدون فيها ما يدل من قريب أو بعيد على أن محمداً ﷺ نزل عن ذروة الكمال العقلي ، والآداب الاجتماعية التي عرفتها البشرية منذ كانت للكلمة من المصطفين لرسالات الله تعالى؟ ! .

ولكنه ﷺ بعثه الله نذيراً بين يدي عذاب شديد لمن أعرض عن النظر في آيات الله ، ولم يؤمن بربه ، وهو يرى ما بثه في الكون من دلائل وحدانيته ، وقهر قدرته ، وبالغ حكمته !

يقول الفخر الرازي[1] : كان النبي ﷺ عندنزول الوحي تغشاه حالة عجيبة ، فيتغيّر وجهه ، ويصفرّ لونه ، وتعرض له حالة شبيهة بالغشي ، فالجهال كانوا يقولون إنه جنون ، فالله تعالى بيّن في هذه الآية أنه ليس به نوع من أنواع الجنون ، وذلك لأنه ﷺ كان يدعوهم إلى الله ، ويقيم الدلائل القاطعة ، والبينات الباهرة ، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضتها ، وكان حسن الخلق ، طيب العشرة ، مرضي الطريقة ، نقي السيرة ، مواظباً على أعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ، ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الإنسان لا يمكن وصفه بالجنون ، وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ٨ : ٧٦ .

الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين ، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين .

ومن لطائف القرآن الكريم هنا أنه ذكر محمداً ﷺ في هذا المقام بعنوان «**الصحبة**» ليذكرهم بأنهم أعرف الناس به ، وأنه لم يفارقهم ، ولم يفارقوه ، بل صحبهم وصحبوه ، ولازمهم ولازموه ، فهل عرفوا عنه طول حياته بينهم شيئاً يخدش إدراكاته العقلية وإحساساته ومشاعره الإنسانية؟

لقد صدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

(آية ٣٣ سورة الأنعام) .

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

ونبصر الخطاب للرسول ﷺ ليظل في دعوته لا يثنيه سوء أدبهم معه ، وسوء اتهامهم له ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

(آية ٢٩ سورة الطور) .

يقول الزمخشري : فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ، ولا يثبطنك قولهم «**كاهن أو مجنون**» ، ولا تبال به ، فإنه قول باطل متناقض ، لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة ونظر ، والمجنون مغطى على عقله ، وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين[١] .

ويقول الشوكاني : أي اثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير ، والباء في قوله ﴿بِنِعْمَتِ﴾ متعلقة بمحذوف هو حال ، أي ما أنت ـ متلبساً بنعمة ربك التي

---

(١) تفسير الكشاف : ٤ : ٣٥ .

أنعم بها عليك من رجاحة العقل والنبوة ـ بكاهن ولا مجنون ، وقيل : متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام ، أي ما أنت في حال إذكارك بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، وقيل الباء سببية متعلقة بمضمون الجملة المنفية ، والمعنى انتفى عنك الكهانة والجنون بسبب نعمة الله عليك ، كما تقول : ما أنا بمعسر بحمد الله ، وقيل : الباء للقسم متوسطة بين اسم ﴿ما﴾ وخبرها ، والتقدير : ما أنت ـ ونعمة الله ـ بكاهن ولا مجنون ، والكاهن : هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب من دون وحي ، أي ليس ما تقوله كهانة ، فإنك إنما تنطق بالوحي الذي أمرك الله بإبلاغه ، والمقصود من الآية رد ما كان يقوله المشركون : إنه كاهن أو مجنون(١) .

رواية في الميزان:

وقد روى ابن سعد في ذكر نزول الوحي على رسول الله ﷺ عن محمد ابن عمر «الواقدي» بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

[فبينا رسول الله ﷺ على ذلك وهو بأجياد ، إذ رأى ملكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد ، أنا جبريل ، يا محمد ، أنا جبريل ، فذُعر رسول الله ﷺ من ذلك ، وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء ، فرجع سريعاً إلى خديجة ، فأخبرها خبره ، وقال : يا خديجة ، والله ! ما أبغضت بُغض هذه الأصنام شيئاً قط ، ولا الكهّان ، وإني لأخشى أن أكون كاهناً ، قالت : كلا يا ابن عم لا تقل ذلك ، فإن الله لا يفعل ذلك بك أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وإن خلقك لكريم ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل ، وهي أول مرة أتته ، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : والله ! إن ابن عمك لصادق ، وإن هذا لبدء نبوة ، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر ، فمريه أن لا يجعل في نفسه إلا خيراً](٢) .

---

(١) تفسير الشوكاني : ٥ : ٩٩ ، وانظر : تفسير الألوسي : ١٤ : ٢٦ .

(٢) الطبقات الكبرى : ١ : ١٩٤ـ ١٩٥ .

قال البخاري : الواقدي مديني سكن بغداد ، متروك الحديث ، تركه أحمد ، وابن نمير ، وابن المبارك ، وإسماعيل بن زكريا .

وقال في موضع آخر : كذّبه أحمد .

وقال معاوية بن صالح : قال لي أحمد بن حنبل : هو كذّاب(١) .

قلت : لعل هذه الرواية ومثيلاتها ، هي التي قصدها الحافظ ابن حجر بقوله : جاء مصرحاً به في عدة طرق ، بيد أنه قال : وأبطله ابن العربي وحق أن يبطل .

وهذا البغض ـ كما أسلفنا ـ كان واقعاً راسخاً في خلق رسول الله ﷺ ، مركوزاً في فطرته التي فطره الله عليها ، وفي التكامل المحمدي منذ طفولته إلى بدء نزول الوحي ! !

بيد أن البغض في تلك الرواية جاوز موضعه من فطرة رسول الله ﷺ(٢) ، واتخذ وضعاً مريباً واهناً في لحظة تاريخية من حياة الرسول ﷺ ! !

وكيف والرواية نفسها يصيح فيها ملك الوحي جبريل [**يا محمد ، أنا جبريل ، يا محمد ، أنا جبريل**]؟ !

وإذا كان النبي ﷺ يبغض الكهان والكهانة بغضه للأصنام ، وهو بغض لم يبغضه شيئًا قط ، وهذا واقعه ﷺ في حياته ، فكيف يخشى على نفسه في هذه اللحظة التاريخية من حياته أن يكون كاهناً؟ !

فضلاً عن أن هذه الرواية بهذا السند قد خالفت الرواية التي معنا ، وقد رواها الشيخان وغيرهما ـ كما سبق ـ حيث فسرت الخشية بالكهانة ، وفي الوقت ذاته ذكرت بغضه ﷺ للأصنام والكهان ! !

---

(١) تهذيب الكمال : ٢٦ : ١٨٠ ـ ١٩٤ (٥٥٠١) ، وانظر : المغني في الضعفاء : ٢ : ٦١٩ (٥٨٦١) ، وتهذيب التهذيب : ٩ : ٣٦٣ ـ ٣٦٨ (٦٠٤) ، والتقريب : ٢ : ١٩٤ ، والميزان (٧٩٩٣) ، وسير أعلام النبلاء : ٩ : ٤٥٤ ـ ٤٦٩ (١٧٢) .

(٢) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٧٨ بتصرف .

رد قول الحافظ الإسماعيلي :

ولو وقف الحافظ ابن حجر عند نقده لهذا القول ، وتأييده لقول أبي بكر ابن العربي في قطع الحكم ببطلانه ، لكان الأمر لا يحتاج إلى نظر جديد ، بيد أنه ـ كما أسلفنا ـ قال : لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى ! !

وحسبنا في بيان مكانة الإسماعيلي ، أنه ـ كما قال الذهبي ـ : الإمام الحافظ الحجة الفقيه ، شيخ الإسلام ، أبو بكر ، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل ابن العباس ، الجرجاني ، الإسماعيلي ، الشافعي ، صاحب «الصحيح» ، وشيخ الشافعية .

وقال : من جلالة الإسماعيلي أن عرف قدر «صحيح البخاري» وتقيد به .

وقال الحاكم : كان الإسماعيلي واحد عصره ، وشيخ المحدّثين والفقهاء ، وأجلهم في الرئاسة والمروءة والسخاء ، ولا خلاف بين العلماء من الفريقين وعقلائهم في أبي بكر[(١)] .

وقال ابن كثير : الحافظ الكبير ، الرحال الجوال ، سمع الكثير ، وحدّث ، وخرّج ، وصنف فأجاد ، وأحسن الانتقاد والاعتقاد[(٢)] .

وذكره السخاوي فيمن حمل لواء علم الحديث في جرجان[(٣)] ، وقال : الحافظ الفقيه الإمام النظار[(٤)] .

ومع ذلك أقول : كان على الحافظ ابن حجر أن يقف عند تأييده لقول

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١٦ : ٢٩٢ـ٢٩٦ (٢٠٨) ، وتذكرة الحفاظ : ٣ : ٩٤٨ـ٩٤٩ ، والأنساب : السمعاني : ١ : ٢٥٠ ، والوافي : الصفدي : ٦ : ١٣ ، والمعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي : ١ : ١٥٦ .

(٢) البداية : ١١ : ٢٩٨ .

(٣) انظر : الإعلان بالتوبيخ : ١٤١ .

(٤) انظر : فتح المغيث : ١ : ٣٠ .

أبي بكـر بن العربي ، وقوله «وحق له أن يبطل» ، ولا يذكر حمل الحافظ الإسماعيلي الذي ذكره ، لأنه مردود بما عرفنا ، ولأن الحافظ ابن حجر لم يرفع للطرق الواردة في هذا القول المردود رأساً ، ولم يعبأ بها بحثاً ، وهو في ذلك من هو في ميدان البحث العلمي في هذا المجال ! !

الثاني :

أما عن القول الثاني ، وهو الهاجس ، فقد أبطله الحافظ ابن حجر ـ كما أسلفنا ـ ، وهو كما قال .

الثالث والرابع والخامس :

أما عن القول الثالث : وهو الموت من شدة الرعب ، فقد جعله الحافظ ابن حجر أولى الأقوال بالصواب ، وأسلمها من الارتياب ، واللذين بعده ، وهما : الرابع : وهو المرض(١) ، وقد جزم به ابن أبي حمزة ، والخامس : وهو دوام المرض .

فقد رد الشيخ عرجون ترجيح الحافظ بعبارة لا نوافقه عليها ، حيث قال(٢) :

وهذه الأقوال التي رجحها الحافظ ابن حجر من أضعف الأقوال الاثني عشر التي ذكرها .

وقال الإمام الصالحي الشامي(٣) : والخشية المذكورة اختلف في المراد بها على اثني عشر قولاً : أولاها بالصواب : الموت من شدة الرعب ـ وهو الثالث ـ ، وقيل : المرض ـ وهو الرابع ـ ، وقيل : دوامه ـ وهو الخامس ـ ، وقيل : تعييرهم إياه ـ وهو الثاني عشر ـ كما سبق .

---

(١) انظر : الكواكب الدراري : ٢٤ : ٩٥ ـ ٩٦ بيد أنه أضاف إليه : أو عارضاً من الجن ! !

(٢) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٤٤ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد : ٢ : ٢٤١ .

السادس والسابع والثامن:

أما عن القول السادس : وهو العجز عن حمل أعباء النبوة ، والسابع : وهو العجز عن النظر إلى الملك من الرعب ، والثامن : وهو عدم الصبر على أذى قومه ، فإنا نرجح القول السادس ، قال الكرماني[١] : وقالوا : الأولى [خشيت] أي لا أقوى على تحمل أعباء الوحي ومقاومته .

ولأن الروايات بمنطوقها ومفهومها وجو الأحداث ، وتمثّل هذه الأعباء ، وما حفّ بها من شدائد ، وما لابد من التعرض له في سبيل قيامه بحق دعوته من عداوة هؤلاء الذين جعلوا من الشرور والمفاسد عدّتهم وعتادهم ، وهل يستطيع أن يصبر على ما يلقى من أذى ، وهو يبلغ رسالة ربه ، وهو يعلم ما عليه قومه من جاهلية جهلاء ، وما عليه غيرهم حين ذهب مع عمه أبي طالب في تجارته إلى الشام ، وقصة بحيرى[٢] ، وقد كان الرسول ﷺ من الذكاء والفطانة ، وإشراق الروح ، وضياء العقل ، وثقوب الذهن ، ورجاحة التفكير ، بالمكان الأرفع ، ومنذ اللحظة التي جاءه الحق وهو في غار حراء ، وما قد حفّ بهذه المفاجأة من شدائد هذا اللقاء التي لا تطيقها طبيعة بشرية مهما كانت قوتها ، كل أمر منها بمفرده حريّ أن يفزع ويرعب أقوى القوى البشرية ، وهي قد اجتمعت على محمد ﷺ في مفاجآت متتاليات متتابعات ، عرف منها أن الله عز وجل اصطفاه رسولاً ، ليخرج الناس من ظلمات حياتهم المتراكمة إلى نور الهداية والرشاد .

وفي غمرة ذلك[٣] ،وقد تيقّن الرسول ﷺ اصطفاءه للرسالة ، واستوعبت مداركه وإحساساته ومشاعره تصور أعباء القيام بحق ما اختير له رسولاً . . خشي ألا يقوى على القيام بحق تبليغ رسالته ، وخشي أن يشغله ما سيقع بينه وبين الناس حين يدعوهم إلى الله ، وإلى هديه ـ وهم على ما هم عليه من ضلالة ضالّة ـ عن

---

(١) الكواكب الدراري : ٢٤ : ٩٦ .

(٢) انظر : الجامع الصحيح للسيرة النبوية : ١ : ٣٧١ وما بعدها .

(٣) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٠٤ .

مطالعات تجليات شهود جلال الله ، والاستغراق في كماله العلي ، بعدما تذوّق بروحانيته الخاصة الوليدة في جو المفاجآت ، بميلاد رسالته حلاوة هذا الشهود . . كل أولئك يرجح القول السادس ، ويليه الثامن ، ثم السابع .

وهـم للزرقانـي :

وجاء في شرح الزرقاني ذكر القول في بيان المراد بالخشية[1] :

ثالثها : خشي الموت من شدة الرعب .

رابعها : تعييرهم إياه .

قال : قال الحافظ : وهذان أولى الأقوال بالصواب ، وأسلمها من الارتياب !

قلت : وهذا خلاف ما صرح به الحافظ ابن حجر ـ كما سبق ـ وقد نقلنا قوله .

التاسـع :

وأما عن القول التاسع ، وهو أن يقتله قومه إذا بلغهم رسالة ربه ، وإن كان عالماً بأن ما جاء به من ربه ، فلا غرو ، وإن كان سيد أهل اليقين ، لأن ذلك مما يرجع للطبع ـ كما جاء في شرح الزرقاني ـ ، فإنه بشر يخشى من القتل والأذية كما يخشى البشر ، ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية ، ويجلب إلى قلبه كل شجاعة وقوة ، قاله في الروض[2] .

العاشـر :

وأما عن القول العاشر : وهو مفارقة الوطن[3] ، فهذا مما يمكن أن يكون قد دار

---

(١) شرح الزرقاني : ١ : ٢١٧ ، وانظر : إكمال إكمال المعلم : ١ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .

(٢) شرح الزرقاني : ١ : ٢١٧ ، والروض الأنف : ١ : ٢٧٥ .

(٣) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٤٢ ـ ٣٤٣ بتصرف .

في خلد الرسول ﷺ وألم بخاطره ، فإن مجيئه لقومه بما يخالف ما هم عاكفون عليه ، منغمسون في حمأته من وثنية ، وعادات فاسدة ، وأخلاق مرذولة ، ونظم ظالمة ، يجعلهم يضيقون به وبوجوده بينهم ، ليغير حياتهم الجاهلية ، وينقلهم إلى حياة مباركة طيبة ، تباعد بينهم وبين هذا الفساد الذي ألفوه وارتضوه لحياتهم وعاشوا به ، فلا أقل من محاولة التخلص بإبعاده عنهم ، وإخراجه من بلده ، وذلك من أشق ما يكون على النفس ، بدليل ما جاء في الحديث من قول ورقة :

[يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك] .

واستبعد النبي ﷺ ـ كما أسلفنا ـ أن يخرجوه ، لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج ، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق ، فقال متعجباً :

[أو مخرجيّ هم ؟] .

الحادي عشر :

وأما عن القول الحادي عشر ، وهو تكذيبهم إياه ، فهذا أمر طبيعي الوقوع .

الثاني عشر :

وأما عن القول الأخير : وهو تعييرهم إياه ، فهو لا محصل له ، لأن خشية التعيير لا تكون إذا كان بأمر معيب ، يسوء الإنسان في أخلاقه وسلوكه ، والرسول ﷺ قد أتى قومه ، وأتى العالمين برسالة خالدة كاملة ، فبم يعيّرونه حتى يخشى هذا التعيير؟ !

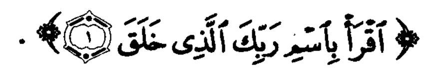
ولا يمكن أن يقع ذلك منه ﷺ إلا إذا كان على معنى مجرد مخالفتهم لما كانوا عليه من سوء العقيدة ورذائل العادات التي ألفوها ، وأصبح من العسير عليهم خروجهم منها .

قول القاضي عياض :

وفي معنى الخشية قال القاضي عياض[1] : ليس معناه الشك في أن ما أتاه من الله تعالى ، لكنه كأنه خشي أن لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ، ولا يطيق حمل أعباء الوحي ، فتزهق نفسه لشدة ما لقيه أولاً عند لقاء الملك ، قال : أو يكون هذا أول ما رأى التباشير في النوم واليقظة ، وسماع الصوت قبل لقاء الملك ، وتحققه رسالة ربه تعالى ، فيكون خاف أن يكون من الشيطان ، فأما بعد أن جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى ، فلا يجوز الشك عليه ، ولا يخشى تسلط الشيطان .

قول النووي :

وقال النووي بعد أن ذكر قول القاضي عياض[2] : وهذا الاحتمال الثاني ضعيف ، لأنه خلاف تصريح الحديث ، لأن هذا كان بعد غط الملك ، وإتيانه بقوله :



﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ .

قلت : وهو الراجح[3] .

* * *

(١) شروح البخاري : ٥٢ دار الكتب العلمية ، بيروت .
(٢) مسلم بشرح النووي : ٢ : ٢٠٠ .
(٣) انظر : محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٣٨١ ففيه القول بأن تضعيف النووي هو الضعيف المردود ، وأن قول القاضي عياض هو القول الحق !!

الفصل الثالث

رد بلاغ التردي من رؤوس شواهق الجبال

بلاغ التردي:

جاء في رواية للبخاري وغيره في حديث بدء الوحي :

[. . وفتر الوحي فترة ، حتى حزن النبي ﷺ ، فيما بلغنا ، حزناً غدا منه مراراً ، كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل ، لكي يلقي منه نفسه ، تبدّى له جبريل فقال : يا محمد ، إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقرّ نفسه ، فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل ، فقال له مثل ذلك][1] .

البلاغ في الميزان:

قال ابن حجر[2] : قوله **[وفتر الوحي فترة ، حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا]** ، هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس ، وصنيع المؤلف - أي البخاري - يوهم أنه داخل في رواية عقيل ، وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه ، فساق الحديث إلى قوله **[وفتر الوحي]** ، ثم قال :

---

(١) البخاري : ٩١ - التعبير (٦٩٨٢) ، وأحمد : ٦ : ٢٣٢ - ٢٣٣ ، والفتح الرباني : ٢٠ : ٢٠٧ - ٢٠٩ ، وأبو نعيم : الدلائل : ١ : ٢٧٥ - ٢٧٧ ، والبيهقي : الدلائل : ٢ : ١٣٥ - ١٣٦ ، وعبدالرزاق (٩٧١٩) ، وابن حبان : الإحسان (٣٣) ، وانظر : الطبقات الكبرى : ١ : ١٩٦ ، وسبل الهدى والرشاد : ١ : ٢٧١ .

(٢) فتح الباري : ١٢ : ٣٥٩ .

انتهى حديث عقيل المفرد عن ابن شهاب إلى حيث ذكرنا ، وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري ، فقال : [**وفتر الوحي فترة حتى حزن** . .] فساقه إلى آخره .

والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر ، فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي ، عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه في أول الكتاب بدونها ، وأخرجه مقروناً هنا برواية معمر ، وبيّن أن اللفظ لمعمر ، وكذلك صرح الإسماعيلي أن الزيادة في رواية معمر .

وأخرجه أحمد ، ومسلم ، والإسماعيلي ، وغيرهم ، وأبو نعيم أيضاً من طريق أصحاب الليث عن الليث بدونها .

ثم إن القائل [**فيما بلغنا**] هو الزهري .

ومعنى الكلام أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة ، وهو من بلاغات الزهري ، وليس موصولاً .

وقال الكرماني[1] : [**فيما بلغنا**] أي في جملة ما بلغ إلينا من رسول الله ﷺ ، فإن قلت : من ها هنا إلى آخر الحديث يثبت بهذا الإسناد أم لا؟ قلت : لفظه أعم من الثبوت به أو بغيره ، لكن الظاهر من السياق أنه بغيره .

قال ابن حجر[2] : ووقع عند ابن مردويه في التفسير من طريق محمد ابن كثير عن معمر بإسقاط قوله [**فيما بلغنا**] ، ولفظه [**فترة حزن النبي ﷺ منها حزناً غدا منه**] إلى آخره ، فصار كله مدرجاً على رواية الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، والأول هو المعتمد .

وذكر القسطلاني قول ابن حجر مجملاً ، ثم ذكر قول عياض ، وقال[3] :

---

(١) الكواكب الدراري : ٢٤ : ٩٧ .

(٢) فتح الباري : ١٢ : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) إرشاد الساري : ١٠ : ١٢٢ ، وانظر : ٧ : ٤٢٧ ، وشرح الزرقاني : ١ : ٢١٦ .

وحاصله أنه ذكر أنه غير قادح من وجهين :

أحدهما : فيما يتعلق بالمتن من جهة قوله [فيما بلغنا] حيث لم يسنده ، وأنه لا يعلم ذلك إلا من جهة المنقول عنه .

والثاني : أنه أول الأمر ، أو أنه فعل ذلك لما أخرجه من تكذيب قومه ، وفيه بحث ، إذ عدم إسناده لا يوجب قدحاً في الصحة ، بل الغالب على الظن أنه بلغه من الثقات ، لأنه ثقة ، لاسيما ولم ينفرد بذلك . . وروينا أيضاً من طريق الدولابي مما في سيرة ابن سيد الناس ، عن يونس بن عبدالأعلى ، عن ابن وهب ، عن يونس ابن يزيد ، عن الزهري ، عن عائشة : الحديث ، وفيه : [**ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا**] إلى آخره[1] ، فاعتضدت كل رواية بالأخرى ، وكل من الزهري ومعمر ثقة ، وعلى تقدير الصحة لا يكون قادحاً كما ذكره عياض ، لكن لا بالنسبة إلى أنه في أول الأمر ، لاستقرار الحال فيه مدة ، بل بالنسبة إلى ما أخرجه من التكذيب ، إذ لا شيء فيه قطعاً ، بدليل قوله تعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ .

(آية ٦ سورة الكهف) .

أي قاتل نفسك أسفاً .

قلت : هو مجرد احتمال ، يرده صريح قوله [فيما بلغنا] كما يرده حذفه ، لأنه يكون مدرجاً كما قال ابن حجر .

وقال الدكتور أبو شهبة[2] : هذه الرواية ليست على شرط الصحيح ، لأنها

---

(١) عيون الأثر : ١ : ٨٥ .

(٢) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة : ١ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦ بتصرف ، وقد ذكر في بيان أن هذه الرواية موهمة أحاديث لم تسلم أسانيدها من الضعف ، لم نذكرها حتى لا نخرج عن موضوع حديثنا .

من البلاغات ، وهي من قبيل المنقطع ، والمنقطع من أنواع الضعيف ، والبخاري لا يخرج إلا الأحاديث المسندة المتصلة برواية العدول الضابطين ، ولعل البخاري ذكرها لينبهنا إلى مخالفتها لما صح عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تذكر فيه هذه الزيادة . .

وقال : وأيضاً فإن ما استفاض من سيرته ﷺ يرد ذلك ، فقد حدثت له حالات أثناء الدعوة إلى ربه أشد وأقسى من هذه الحالة ، فما فكر في الانتحار بأن يلقي نفسه من شاهق جبل أو يبخع نفسه . .

وقال : ونحن لا ننكر أنه ﷺ قد حصلت له حالة أسى وحزن عميقين على انقطاع الوحي ، خشية أن يكون ذلك عدم رضا من الله ، وهو الذي كان يهون عليه كل شيء من لأواء الحياة وشدائدها ما دام في سبيل الله ، وفيه رضا الله . .

وقال : وليس أدل على ضعف هذه الزيادة وتهافتها من أن جبريل كان يقول للنبي ﷺ كلما أوفى بذروة جبل : [**يا محمد ، إنك رسول الله حقاً**] وأنه كرر ذلك مراراً ، ولو صح هذا لكانت مرة واحدة تكفي في تثبيت النبي ﷺ وصرفه عما حدّثته به نفسه كما زعموا ! !

وقال الدكتور موسى شاهين(١) : هذه الرواية تتعارض مع ما كان عليه ﷺ من الإيمان الكامل ، واليقين المطلق الذي لا تزعزعه الكوارث ، والذي يستبعد معه التفكير في الانتحار ، مهما كانت أسبابه ودواعيه . . ثم قال : والذي أستريح إليه أن هذه الزيادة من رواية معمر ، وأن هذا التصور من بلاغات الزهري ، وليس موصولاً ، فلا نثبت ما يتنافى والطبع السليم .

وقال الألباني(٢) : إن لهذه الزيادة علتين :

الأولى : تفرد معمر بها دون يونس وعقيل ، فهي شاذة .

---

(١) فتح المنعم : ٢ : ٣٣٧ .

(٢) دفاع عن الحديث النبوي والسيرة : ٤١ ـ ٤٢ .

الأخرى : أنها مرسلة معضلة ، فإن القائل [**فيما بلغنا**] إنما هو الزهري ، كما هو ظاهر من السياق ، وبذلك جزم الحافظ في الفتح ، وقال : وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً .

وقال : وهذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها .

وإذا عرفت عدم ثبوت هذه الزيادة فلنا الحق أن نقول : إنها زيادة منكرة ، من حيث المعنى ، لأنه لا يليق بالنبي ﷺ المعصوم أن يحاول قتل نفسه بالتردي من الجبل مهما كان الدافع على ذلك ، وهو القائل :

[**من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم ، يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً** . .] الحديث ، رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] .

رد قول الحافظ الإسماعيلي:

ومع ذلك ، قال ابن حجر : قال الإسماعيلي[2] : موه بعض الطاعنين على المحدّثين فقال : كيف يجوز للنبي ﷺ أن يرتاب في نبوته ، حتى يرجع إلى ورقة ، ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفي بذروة جبل ليلقي منها نفسه ، على ما جاء في رواية معمر؟

قال : ولئن جاز أن يرتاب مع معاينة النازل عليه من ربه ، فكيف ينكر على من ارتاب فيما جاءه به مع عدم المعاينة؟

قال : والجواب أن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضي بإيصاله إلى الخلق أن يقدمه ترشيح وتأسيس ، فكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة ، ومحبة الخلوة ، والتعبد ، من ذلك ، فلما فجئه الملك فجئه بغتة أمر خالف العادة والمألوف ،

---

(١) البخاري : ٧٦ ـ الطب (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٩) ، وأبو داود (٣٨٧٢) ، وصحيح أبي داود (٣٢٨٠) ، والترمذي (٢٠٤٤ ، ٢٠٤٥) ، وصحيح الترمذي (١٦٦٥ ـ ٢١٣٢) ، والنسائي : ٤ : ٦٦ ، ٦٧ ، وصحيح النسائي (١٨٥٦) .

(٢) فتح الباري : ١٢ : ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

فنفر طبعه البشري منه ، وهاله ذلك ، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال ، لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه وينفر طبعه منه ، حتى إذا تدرج عليه وألفه استمر عليه ، فلذلك رجع إلى أهله التي ألف تأنيسها له فأعلمها بما وقع له ، فهونت عليه خشيته بما عرفته من أخلاقه الكريمة ، وطريقته الحسنة ، فأرادت الاستظهار بمسيرها به إلى ورقة ، لمعرفتها بصدقه ، ومعرفته وقراءته الكتب القديمة ، فلما سمع كلامه أيقن بالحق واعترف به .

ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترة الوحي ، ليتدرج فيه ، ويمرن عليه ، فشق عليه فتوره ، إذ لم يكن خوطب عن الله بعد إنك رسول من الله ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدئ به ، ثم لم يرد استفهامه ، فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح .

قال : ومثال ما وقع له في أول ما خوطب به ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : «**الحمد لله**» فلم يتحقق أنه يقرأ ، حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات تحقق أنه يقرأ .

وكذا لو سمع قائلاً يقول : «**خلت الديار**» لم يتحقق أنه ينشد شعراً حتى يقول : «محلها ومقامها» انتهى ملخصاً .

ثم أشار إلى أن الحكمة في ذكره ﷺ ما اتفق له في هذه القصة أن يكون سبباً في انتشار خبره في بطانته ، ومن يستمع لقوله ، ويصغي إليه ، وطريقاً في معرفتهم مباينة من سواه في أحواله ، لينبهوا على محله .

قال : وأما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نُبّئ فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفاً مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعاً ، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلاً ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر واستقرت نفسه . اهـ .

والناظر في هذا الكلام ، وتصويره لطعن الطاعنين الذي سماه الحافظ الإسماعيلي تمويهاً على المحدّثين ، يرى بشيء من التأمل المحكم المنصف أن هذا الكلام مردود على قائله ! !

وسبق أن عرفنا الرد على تخرصات تفسير «الخشية» ، وبيان ما يقبل منها .

ترى ، هل كان كلام ورقة ـ كما عرفنا ـ أعظم أثراً في إيجاد الإيقان ، وتحصيله للرسول ﷺ ، واعترافه بالحق ، من وحي النبوة بالرؤيا الصالحة الصادقة ، وما صحبها وتتابع بعدها . . ومراتب الوحي ، ونزول القرآن؟

ثم إن هذا التصوير يقتضي أن الرسول ﷺ حزن لفتور الوحي حزناً ملأه يأساً كظيماً مغلقاً [1] ، دفعه إلى أن يغدو مراراً إلى رؤوس شواهق الجبال ، لكي يتردى من فوق ذراها ، فيتبدّى له جبريل قائلاً يا محمد ، إنك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه . . ويتكرر ذلك ! !

ترى ، كم مرة غدا رسول الله ﷺ ، وتبدّى له جبريل عليه السلام؟ !

وأين ذهب الإيقان والاعتراف بالحق الذي حصل للرسول ﷺ عقب سماع كلام ورقة الذي لم ينشب ـ كما عرفنا ـ أن توفي ، كما يدل على ذلك الحديث؟ !

وإن إجابة الحافظ الإسماعيلي عن مطاعن الطاعنين على المحدّثين بأن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى بإيصاله إلى الخلق يقدمه ترشيح وتأسيس . . مسلّمة في جملتها ، ضعيفة في تعليلها ودعامتها ! !

ذلك أن الرسالة إذا ثبتت لمن يصطفيه الله عز وجل ، ثم جاءه من عند الله ما ليس مألوفاً لبشريته قبل أن يكون رسولاً ، فلا مانع أن يفزع ويرعب فزعاً ورعباً تقتضيه دواعي بشريته ، لكنه لا يمكن أن يصل إلى درجة تخطي عصمة النبوة والرسالة ! !

---

(١) محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٤٢١ وما بعدها بتصرف .

وإذا كانت النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها ـ كما قال الحافظ الإسماعيلي ـ فذلك حق لا يجادل فيه ، بيد أنها تخلص الروح من أعظم علائقها المادية المعوقة للاتصال بالملإ الأعلى في شيء من المجانسة الروحانية ليحصل التناسب الروحاني عند بدء الرسالة ، ونزول القرآن الكريم ! !

ثم كيف تكون مدة فترة الوحي من مقدمات تأسيس النبوة ، وهي متأخرة قطعاً عن مجيء النبوة وتأسيسها ، لأنها كانت باليقين القاطع بعد مفاجأة الغار ، ونزول أوائل سورة **(اقرأ)** وقبل نزول سورة **(المدثر)**؟ !

وما قيمة التمثيل الذي جاء به الحافظ الإسماعيلي ليبين عدم تمكن النبي ﷺ من تحقق حاله ، وأي محصل له ، وهو تمثيل عجيب غريب ، جعل النبي ﷺ كأي رجل يطلب الراحة من غم ناله ، فأراد أن يتخلص منه ويرتاح ، ولو بإهلاك نفسه؟ !

قال ابن حجر[1] : وأما المعنى الذي ذكره الإسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل .

وأشار إلى رواية الطبري[2] .

قلت : هذا يؤكد رد ذلك القول ، فضلاً عن اختلاف الرواية ، والتعارض مع الرواية التي أوردناها في الفصل الأول ، وكان على الحافظ ابن حجر أن يشير إلى ذلك ، وهو الذي صدرنا هذا الفصل بقوله في رد ذلك البلاغ ! !

وبهذا نتبين أن فترة الوحي أبعد ما تكون زمناً ووضعاً وموضوعاً من أن تكون من مقدمات تأسيس النبوة ، لأن فترة الوحي ـ كما عرفنا ـ متأخرة في زمن وقوعها ووضعها في إطار الرسالة بزمن ، والمتأخر زمناً لا يصلح بداهة أن يكون تأسيساً للمتقدم ! !

---

(١) فتح الباري : ١٢ : ٣٦١ .

(٢) انظر : تاريخ الطبري : ١ : ٥٣ .

وأبعد ما تكون في موضوعها وحكمتها عن التدرج بالنبي ﷺ في الوحي ليمرن عليه ، لأن كل ما يتصل بالوحي ليس من الشؤون الكسبية التي يتدرج الإنسان في مراتبها ودرجاتها حتى يمرن عليها ، ولأن التدرج والمران يقتضيان تعدد فترات الوحي ، حتى يتحقق المقصود منهما ، وفترة الوحي قبل نزول سورة **(الضحى)** فترة من نوع آخر ، كان سببها على الصحيح أن الرسول ﷺ اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، وذلك فيما رواه الشيخان وغيرهما عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال(١) :

اشتكى رسول الله ﷺ ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً ، فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً ، فأنزل الله عز وجل :

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ .

(آية ١ ـ ٣ سورة الضحى) .

وهذه المرأة هي أم جميل العوراء ، بنت حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهي أخت أبي سفيان بن حرب ، وامرأة أبي لهب(٢) .

وسبق أن ذكرنا قول الحافظ ابن حجر : الحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴾ غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإن تلك دامت أياماً ، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً ، فاختلطتا على بعض الرواة ، وتحرير الأمر في ذلك ما بينته(٣) .

---

(١) البخاري : ٦٥ ـ التفسير (٤٩٥٠) ، ومسلم (١٧٩٧) ، وأحمد : ٤ : ٣١٢ ، ومرويات الإمام أحمد في التفسير : ٤ : ٣٦٢ (٦٧٩) ، وابن جرير : التفسير : ٣ : ٢٣١ ، والطبراني (١٧٠٩ ـ ١٧١٢) ، والترمذي (٣٣٤٥) ، وانظر : فتح القدير : ٥ : ٤٥٤ .

(٢) فتح الباري : ٣ : ٩ ، وانظر : المستدرك : ٢ : ٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

(٣) المرجع السابق : ٨ : ٧١٠ .

وعرفنا أن الرسول ﷺ قد خوطب قبل فترة الوحي ، وقبل أن يأتي إلى أهله في عودته من مفاجأة الغار وتكرار الغط ، وبعد أن أقرىء أوائل سورة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ .

وقد أطال الشيخ عرجون في رده لكلام الحافظ الإسماعيلي بما يتفق وقواعد التحديث أحياناً وما يختلف أخرى(١) .

وحسبنا ما سبق في بيان الأقوال في قوله [فيما بلغنا] وفي حذفه ، لأنه يكون مدرجاً كما قال الحافظ ابن حجر .

البلاغ في كتب كثيرة :

ومع هذا نجد ذلك البلاغ في كتب كثيرة ـ غير ما سبق ـ لها مكانتها ، فقد ذكره الحافظ ابن كثير ، وسكت عنه(٢) ، والحافظ ابن الجوزي ، وقال : أخرجاه ، وسكت عنه محققه(٣) ، والإمام محمد بن عبدالوهاب ، وذكر أنه في الصحيحين(٤) ، والإمام محمد عبده(٥) ، والدكتور مصطفى السباعي(٦) ، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري(٧) ، والشيخ حامد محمود(٨) ، والدكتور البوطي ، وعلق عليه بقوله : لقد قضت الحكمة الإلهية أن يحتجب عنه الملك الذي رآه لأول مرة في غار حراء مدة طويلة ، وأن يستبد به القلق من أجل ذلك ، ثم يتحول القلق

---

(١) انظر : محمد رسول الله ﷺ : ١ : ٤١٧ ـ ٤٥٨ .

(٢) البداية : ٣ : ٣ ، والسيرة النبوية : ١ : ٤١٢ .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى : ١ : ١٦٣ .

(٤) مختصر سيرة الرسول ﷺ : ٧١ ـ ٧٢ .

(٥) انظر : تفسير جزء عم : سورة الضحى .

(٦) السيرة النبوية : ٤٦ .

(٧) الرحيق المختوم : ٨٠ ، وهو البحث الفائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٣٩٨هـ ، ط دار الوفاء ، المنصورة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

(٨) منتقى النقول : ١٧٥ ، وهو البحث الفائز بالجائزة الرابعة لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي ربيع الأول ١٣٩٩هـ ، ط أولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

لديه إلى خوف في نفسه من أن يكون الله عز وجل قد قلاه بعد أن أراد أن يشرفه بالوحي والرسالة ، لسوء قد صدر منه ، حتى لقد ضاقت الدنيا عليه ، وراحت نفسه تحدثه ، كلما وصل إلى ذروة جبل أن يلقي بنفسه منها ! ! . . إلى أن رأى ذات يوم الملك الذي رآه . . ! ![1] .

وهو كلام يجب طرحه من كتب السيرة النبوية ! !

ويطول بنا الحديث لو حاولنا ذكر الكتب التي نقلت هذا البلاغ وسكتت عنه ، أو أعجبت به ! !

* * *

---

(١) فقه السيرة : ٧٠ ط سابعة .

خاتمـــة

وفي الختام تبين لنا ما يأتي :

١ ـ حماية الله عز وجل لعبده ومصطفاه ، والعصمة والتربية الإلهية .

٢ ـ التكامل المحمدي .

٣ ـ مكارم الأخلاق وخصال الخير من أسباب السلامة من مصارع الشر والمكاره .

٤ ـ كمال أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، وجزالة رأيها ، وفراسة الإلهام في كلماتها النورانية .

٥ ـ تخريج حديث بدء الوحي وبيان غريب الألفاظ .

٦ ـ رد ما وجب رده من الروايات والأقوال .

٧ ـ قد تحسن المقاصد والنيات ، وفي الوقت ذاته قد تخطىء الأفكار والتصورات .

وأوصي بما يلي :

أولاً : ضرورة رد الروايات التي لا تتفق وقواعد التحديث .

ثانياً : ضرورة تنقية كتب السيرة النبوية من الأحاديث الضعيفة ، والأقوال التي تتنافى والعصمة ، مع بيان أوضارها ، والتنبيه على أضرارها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

أهم المراجع

١ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، للفارسي ، تحقيق الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٢ ـ أساس البلاغة ، للزمخشري ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط نهضة مصر .

٤ ـ أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ، لابن حزم ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

٥ ـ الأسماء والصفات ، للبيهقي ، دار إحياء التراث العربي .

٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧ ـ أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج ، لسعد المرصفي ، ط مؤسسة الريان ، بيروت ، ومكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٨ ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للسخاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٩ ـ إكمال إكمال المعلم (شرح صحيح مسلم) للأبـّي ، ومكمل إكمال الإكمال ، للسنوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠ ـ الأنساب ، للسمعاني ، ط بيروت ، وط الهند .

١١ ـ الإيمان ، لابن منده ، تحقيق علي ناصر الفقيهي ، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ١٤٠١هـ .

١٢ ـ البداية والنهاية ، لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط ثانية ١٩٧٧م .

١٣ ـ بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها : شرح مختصر صحيح البخاري (جمع النهاية في بدء الخير والغاية) لابن أبي جمرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤ ـ تاج العروس ، للزبيدي ، تحقيق عبدالستار فراج وآخرين ، ط حكومة الكويت .

١٥ ـ التاريخ الصغير ،للبخاري ، الحضارة العربية ، دار التراث ، القاهرة ، ط أولى ١٣٩٧هـ .

١٦ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٧ ـ التاريخ الكبير ، للبخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٨ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للمباركفوري ، دار الكتب العلمية ، ط أولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٩ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للمزي ، مع النكت الظراف على الأطراف ، لابن حجر ، تحقيق عبدالصمد شرف الدين ، إشراف زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الدار القيمة ، الهند ، ط ثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢٠ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، للسيوطي ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٢١ ـ التعريفات ، للجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٢ ـ تفسير ابن الجوزي (زاد المسير) ، المكتب الإسلامي ، ط رابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٣ ـ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ، ط الحلبي ، مصر .

٢٤ ـ تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٥ ـ تفسير جزء عم ، لمحمد عبده ، الشعب ، ط سادسة .

٢٦ ـ تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) وبذيله الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، وحاشية محمد علي عليان ، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف ، ويليه الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٧ ـ تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط أولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٢٨ ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، الحلبي ، ط ثالثة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

٢٩ ـ تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ثالثة .

٣٠ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٣١ ـ تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم) لمحمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، دار الفكر ، ط ثانية .

٣٢ ـ تقريب التهذيب ، لابن حجر ، ط دار الكتب الإسلامية ، باكستان .

٣٣ ـ التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح ، للعراقي ، ط حلب .

٣٤ ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر ، ط أولى ، دائرة المعارف النظامية ١٣٢٥هـ .

٣٥ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للمزي ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط أولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٣٦ ـ تهذيب اللغة ، للأزهري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

٣٧ ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر ، للجزائري ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط أولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

٣٨ ـ جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، للعلائي ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط أولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٧٨م ، وط ثانية ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .

٣٩ ـ الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق أحمد شاكر ، وآخرين ، ط الحلبي .

٤٠ ـ الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، لسعد المرصفي ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ومؤسسة الريان ، بيروت ، ط أولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م .

٤١ ـ الحلية ، لأبي نعيم ، ط دار السعادة .

٤٢ ـ خاتم النبيين ﷺ ، لمحمد أبو زهرة ، المؤتمر العالمي الثالث للسنة والسيرة والنبوية ، الدوحة ، محرم ١٤٠٠هـ .

٤٣ ـ الخصائص الكبري ، للسيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٤٤ ـ خلق أفعال العباد ، للبخاري ، تعليق بدر البدر ، السلفية ، الكويت ، ط أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٤٥ ـ دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ، للألباني ، مؤسسة ومكتبة الخافقين ، دمشق .

٤٦ ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، تحقيق عامر حسين صبري ، دار حراء بمكة المكرمة ، ط ١٤٠٦هـ

٤٧ ـ دلائل النبوة ، للأصبهاني ، تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، السعودية ، ط أولى ١٤١٢هـ .

٤٨ ـ دلائل النبوة ، للبيهقي ، تعليق الدكتور عبدالمعطي قلعجي ، دار الريان ، القاهرة ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ، ط أولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٤٩ ـ الرحيق المختوم ، للشيخ صفي الرحمن المباركفوري ، البحث الفائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٣٩٨هـ ـ ط دار الوفاء ، المنصورة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٥٠ ـ رد المحتار (حاشية ابن عابدين) على الدر المختار ، شرح وتنوير الأبصار .

٥١ ـ الرسول والوحي ، للدكتور محمد سيد أحمد المسير ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ، ودار التراث ، المدينة المنورة ، ط أولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٥٢ ـ الروض الأنف ، للسهيلي ، ومعه السيرة النبوية ، لابن هشام ، تعليق طـه عبدالرؤوف سعد ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٥٣ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ومكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ط أولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٥٤ ـ سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ، للصالحي ، تعليق عادل أحمد عبدالموجود ، وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٥٥ ـ سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٦٩هـ .

٥٦ ـ سنن أبي داود ، مصر التجارية ، ط أولى .

٥٧ ـ سنن الدارمي ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٨ ـ سنن سعيد بن منصور ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٩ ـ السنن الكبرى ، للبيهقي ، وفي ذيله الجوهر النقي ، لابن التركمان ، دار المعرفة ، بيروت .

٦٠ ـ سير أعلام النبلاء ، للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ثالثة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٦١ ـ السيرة النبوية ، لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٦م .

٦٢ ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، مع شرح أبي ذر الخشني ، تحقيق الدكتور همام عبدالرحيم سعيد ، ومحمد بن عبدالله أبو صعيليك ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٦٣ ـ السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، للدكتور محمد أبو شهبة ، دار القلم ، دمشق ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٦٤ ـ شرح روض الطالب من أسنى المطالب ، لأبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي ، وبهامشه حاشية الرملي ، نشر المكتبة الإسلامية .

٦٥ ـ شروح البخاري للنوي ، والقسطلاني ، والقنوجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٦ ـ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية ، للقسطلاني ، وبهامشه زاد المعاد ، لابن القيم ، دار المعرفة ، بيروت

٦٧ ـ شرح السنة ، للبغوي ، تحقيق الشاويش ، والأرنؤوط ، المكتب الإسلامي ، ط ثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٦٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الدمشقي ، ط المكتب الإسلامي ١٣٣٩هـ .

٦٩ ـ شرح كلا وبلى ونعم ، لمكي بن أبي طالب القيسي ، تحقيق دكتور أحمد حسن فرحات ، دار المأمون للتراث ، ط أولى ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م .

٧٠ ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، لابن مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧١ـ الصحاح ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط ثانية ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٧٢ـ صحيح البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، مع فتح الباري .

٧٣ـ صحيح البخاري ، تقديم أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٧٤ـ صحيح سنن ابن ماجه ، للألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، ط ثالثة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٧٥ـ صحيح سنن أبي داود ، للألباني ، مكتب التربية العربية لدول الخليج ، الرياض ، فهرسة زهير الشاويش ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

٧٦ـ صحيح سنن الترمذي ، للألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، إشراف زهير الشاويش ، ط أولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٧٧ـ صحيح سنن النسائي ، للألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، تعليق زهير الشاويش ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٧٨ـ صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ط المصرية ومكتبتها .

٧٩ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ثانية ١٩٧٢م .

٨٠ـ الضعفاء ، للنسائي ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي بحلب ، ط ١٣٩٦هـ .

٨١ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ط دار بيروت .

٨٢ـ طرح التثريب في شرح التقريب ، للعراقي ، وولده أبي زرعة ، دار المعارف ، سورية .

٨٣ـ علوم الحديث ، لابن الصلاح ، تحقيق دكتور نور الدين عتر ، دار الفكر .

٨٤ـ عمدة القاري : شرح صحيح البخاري ، للعيني ، دار الفكر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

٨٥ـ عون المعبود : شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، مع شرح ابن القيم ، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ، السلفية بالمدينة المنورة ، ط ثانية ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .

٨٦ـ عون المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود ، لأبي إسحاق الجويني الأثري ، دار الكتاب العربي ، ط ثانية ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٨٧ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لابن سيد الناس ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٨ـ غريب الحديث ، للخطابي ، تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ط ١٤٠٢هـ .

٨٩ ـ الفائق في غريب الحديث ، للزمخشري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت .

٩٠ ـ فتح الباري ، لابن حجر ، ط الرياض ، ط الريان ، القاهرة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٩١ ـ فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر ، ومعه فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد ، لمحمد بن عبدالرحمن المغراوي ، مجموعة التحف النفائس الدولية ، الرياض ، ط أولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٩٢ ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، مع بلوغ المرامي من أسرار الفتح الرباني ، للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا ، الشهير بالساعاتي ، ط الإخوان المسلمين ، القاهرة .

٩٣ ـ فتح المغيب شرح ألفية الحديث ، للعراقي ، ط الهند ، وط عالم الكتب .

٩٤ ـ فتح المنعم : شرح صحيح مسلم ، للدكتور موسى شاهين لاشين ، دار التراث العربي ، ط ثانية ، القاهرة .

٩٥ ـ فقه السيرة ، لمحمد الغزالي ، تخريج الألباني ، دار القلم ، دمشق ، ط ثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٩٦ ـ فقه السيرة ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ط سابعة ، دار الفكر ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٩٧ ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، للقاسمي ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، تقديم محمد رشيد رضا ، دار النفائس ، ط أولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

٩٨ ـ كشف الأستار ، للهيثمي ، ط مؤسسة الرسالة .

٩٩ ـ الكليات ، لأبي البقاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

١٠٠ ـ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، للكرماني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ثانية ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١٠١ ـ لسان العرب ، لابن منظور .

١٠٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، بتحرير العراقي وابن حجر ، دار الكتب العربي ، ط ثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٠٣ ـ محمد رسول الله ﷺ ، لمحمد الصادق عرجون ، دار القلم ، دمشق ، ط أولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

١٠٤ ـ مختصر سيرة الرسول ﷺ ، لشيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب ، تأليف الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، توزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض .

١٠٥ ـ مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير ، جمع وتخريج حكمت بشير ياسين ، المؤيد ، السعودية ، ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

١٠٦ ـ المستدرك ، للحاكم ، وبذيله التلخيص ، للذهبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠٧ ـ مسند أبي عوانة ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط ١٣٦٢هـ .

١٠٨ ـ مسند أبي يعلى ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ط أولى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

١٠٩ ـ مسند البزار (البحر الزخار) ، تحقيق دكتور محفوظ عبدالرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

١١٠ ـ مسند أحمد ، وبهامشه منتخب كنز العمال ، للهندي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

١١١ ـ مسند أحمد ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، ط رابعة ، دار المعارف بمصر ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

١١٢ ـ مسند الحميدي ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

١١٣ ـ مسند الطيالسي ، الهند ، ودار المعرفة ، بيروت .

١١٤ ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، للقاضي عياض ، دار التراث ، المكتبة العتيقة .

١١٥ ـ مشكل الآثار ، للطحاوي ، ط مجلس دائرة المعارف العثمانية .

١١٦ ـ المصباح المنير ، للفيومي .

١١٧ ـ المصنف ، لابن أبي شيبة ، تحقيق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، ط أولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

١١٨ ـ المصنف ، لعبدالرزاق ، ومعه كتاب الجامع ، لمعمر بن راشد الأزدي ، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي ، ط ثانية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١١٩ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الشروق .

١٢٠ ـ المعجم الصغير ، للطبراني ، ط السلفية ، المدينة المنورة .

١٢١ ـ المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ، رواية البرقاني ، تحقيق الدكتور زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط أولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

١٢٢ ـ المعجم الكبير ، للطبراني ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ثانية .

١٢٣ ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية ، إيران .

١٢٤ ـ المعرفة والتاريخ ، للفسوي ، ط الإرشاد ، بغداد .

١٢٥ ـ المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ، بيروت .

١٢٦ ـ المغني في الضعفاء ، للذهبي ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر ، دار المعرفة ، سورية .

١٢٧ ـ مقدمة ابن خلدون ، تحقيق دكتور علي عبدالواحد وافي ، ط أولى .

١٢٨ ـ مقدمة إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للقاضي عياض ، تحقيق الدكتور الحسين ابن محمد شواط ، دار ابن عفان ، السعودية ، ط أولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

١٢٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبدالعظيم الزرقاني ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٣٠ ـ المنتقى ، لابن الجارود ، نشر السيد عبدالله هاشم اليماني ١٣٨٢هـ .

١٣١ ـ منتقى النقول في سيرة أعظم رسول ، لحامد محمود بن محمد بن منصور ليمود ، البحث الفائز بالجائزة الرابعة لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي ، ربيع الأول ١٣٩٩هـ ـ ط أولى ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٣٢ ـ منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود ، مذيلاً بالتعليق المحمود على منحة المعبود ، للشيخ أحمد عبدالرحمن البنا ، الشهير بالساعاتي ، مكتبة الفرقان ، مصر ، ط ثانية ١٤٠٣هـ .

١٣٣ ـ الموطأ ، للإمام مالك ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، الحلبي ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م ، وتحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ومحمود محمد خليل ، مؤسسة الرسالة ، ط ثانية ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م .

١٣٤ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي .

١٣٥ ـ النكت على كتاب ابن الصلاح ، لابن حجر ، تحقيق الدكتور ربيع بن هادي عمير ، دار الراية ، الرياض ، ط ثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٣٦ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، تحقيق طاهر أحمد الزواوي ، ومحمود محمد الطناحي .

١٣٧ ـ هدي الساري : مقدمة فتح الباري ، لابن حجر ، ط الرياض ، والريان .

١٣٨ ـ الوافي ، للصفدي ، ط دار صادر بيروت ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

١٣٩ ـ الوحي المحمدي ، لمحمد رشيد رضا ، ط ثامنة ، المكتب الإسلامي .

١٤٠ ـ الوفا بأحوال المصطفى ، لابن الجوزي ، تحقيق مصطفى عبدالواحد ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، السعادة ، ط أولى ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦م .

ـ وهناك كتب ومطبوعات أخرى رجعنا إليها ، وأشرنا إلى موضع النقل منها في حينه .

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الفصــل الثانــي

الفصل الثالث

* * *

للمؤلف

١ - (النقد ومراحله في السنة : دفاع عن الحديث والمحدّثين، رد شبهات ودحض مفتريات) ماجستير، تقدير امتياز، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٩٧١م.

٢ - (السنة بين أنصارها وخصومها) رسالة دكتوراة في الحديث وعلومه، تقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى، والتوصية بطبعها على نفقة جامعة الأزهر، وتداولها بين الجامعات، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر ١٩٧٦م .

٣ - (مشكل الحديث في ضوء أصول التحديث رواية ودراية، ورد الشبهات ودحض المفتريات) المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية - الدوحة - قطر ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٤ - (العمل والعمال بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة) إدارة البحوث الاجتماعية والجنائية بالأمانة العامة لمجلس الوزراء، الكويت ، ودار البحوث العلمية، الكويت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٥ - (الثقافة الإسلامية) بالاشتراك - جامعة الكويت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٦ - (معالم في السلوك الإسلامي) دار الشعاع للنشر، الكويت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٧ - (الهجرة النبوية ودورها في بناء المجتمع الإسلامي) دراسة تحليلية في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٨ - (نفحات رمضان وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية) مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩ - (المادية والروحية في الميزان) مكتبة المعلا - الكويت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٠ - (المسئولية الاجتماعية في الإسلام) مكتبة المعلا - الكويت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١١ - (أضواء على أخطاء المستشرقين في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) دار القلم - الكويت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٢ - (الجامع المفهرس لألفاظ صحيح مسلم) جامعة الكويت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٣ ـ (ابتـداء الخلـق في ضوء الحديث النبـوي) ذات السلاسل، الكـويت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٤ ـ (السحر السحرة في ضوء الحديث النبوي) ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٥ ـ (الفهارس ومكانتها عند المحدّثين) ذات السلاسـل، الكويت ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١٦ ـ (الـوطـن والمواطـن تحت راية الإسـلام) الـهيئـة الخيرية الإسلامية الـعالمية ١٤١١هـ-١٩٩٢م.

١٧ ـ (أسطورة الوطن اليهودي) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٨ ـ (الفكر اليهودي) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٩ ـ (موقف اليهود من الرسالة والرسولﷺ) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٠ ـ (الطبيعة اليهودية) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢١ ـ (التآمر اليهودي على حياة الرسول ﷺ) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٢ ـ (اليهود والخيانة) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٣ ـ (القضاء على اليهود عسكرياً) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٤ ـ (محاكمة اليهود) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٥ ـ (الخطر اليهودي) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٦ ـ (معالم النصر على اليهود) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٧ ـ (الـرسـول ﷺ واليهود وجها لوجه) مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٢٨ ـ (الجامع الصحيح للسيرة النبوية ـ الجزء الأول) ـ ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٩ ـ (شبهات حول أحاديث الرجم وردها) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٠ـ (أحاديث الرضاع : حجيتها وفقهها) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣١ـ (دفاع عن حديث «خلَقَ اللهُ التربة . . .») ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٢ـ (أحاديث الختان : حجيتها وفقهها) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٣ـ (أضواء على أحاديث الإسراء والمعراج) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٤ـ (المستشرقون والسنّة) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٥ـ (دفاع عن حديث فضائل أبي سفيان رضي الله عنه) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٦ـ (حديث حد الردة في ضوء أصول التحديث رواية ودراية) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٧ـ (أحاديث حد السرقة في ضوء أصول التحديث رواية ودراية) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٨ـ (حديث السحر في الميزان) ط مؤسسة الريان، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٩ ـ (المسئولية الوطنية في الإسلام) دار الذخائر، الدمام، ط أولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٤٠ ـ (نفحات الحج وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية) دار الذخائر، الدمام، ط أولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م.

٤١ ـ (شبهات حول حديث الجسّاسة وردها).

٤٢ ـ (أحاديث الولاية في النكاح في ضوء أصول التحديث رواية ودراية).

٤٣ ـ (حديث بدء الوحي في الميزان).

٤٤ ـ (أضواء على حديث «إنما الأعمال بالنيات»).

* * *

تحت الطبع

٤٥ ـ (المدخل إلى ثقافة المسلم) .

٤٦ ـ (عمدة المسلم : شرح أحاديث القسامة والمحاربين والقصاص والديات من صحيح مسلم) .

٤٧ ـ (عمدة المسلم : شرح أحاديث حد السرقة من صحيح مسلم) .

٤٨ ـ (عمدة المسلم : شرح أحاديث حد الزنى من صحيح مسلم) .

٤٩ ـ (دفاع عن الحديث النبوي في ضوء أصول التحديث رواية ودراية ، ورد الشبهات ودحض المفتريات) .

* * *

بالاشتراك

٥٠ ـ (القانون الجنائي الإسلامي : الأحكام العامة) .

٥١ ـ (جرائم القصاص) .

٥٢ ـ (جرائم الحدود) .

٥٣ ـ (التعزير على جرائم ليست من قبيل القصاص والحدود) .

٥٤ ـ (السجون في الإسلام) .

٥٥ ـ (معالم القانون الإسلامي) .

٥٦ ـ (قانون الزكاة في الإسلام) .

* * *

دفاع عن الحديث النبوي الشريف

مجموعة مهمة لكل طالب علم يهتم بعلم الحديث

صدر من هذه السلسلة